حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع:

ردمك:

الدار الأثرية للنشر والتوزيع

مدينة نصر - القاهرة - جمهورية مصر العربية

جوال: ٠٠٢٠١٧٦٠٤٠٢٠٨

dar-elatharia@yahoo.fr - dar_elatharia١@hotmail.com

مكتبة وتسجيلات الغرباء الأثرية

شـــ١٨ــارع أحمد حسينة ـ بجوار مسجد السنة ـ باب الوادي الجزائر

هاتف وفاكس: ٠٩ ٦٢ ٩٦ ٢١ ٠ / جوال: ٥٠ ٢٣ ٣٠ ٠٧٧٠

elghorabaa@hotmail.com

يا طالب العلم

- كيف تحفظ ؟
- كيف تقرأ ؟
- كيف تفهم ؟

ويليها

طالب العلم

بين الترتيب والفوضوية

تأليف

عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان

مكتبة وشبكة الألوكة الإثرية

الدار الأثرية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

يا طالب العلم

يا طالب العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين، نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فإنَّ ممَّا هو معلومٌ أنَّ طلب العلم والسَّعيَ في تحصيله من أشرف القرُبات ومن أرفع الدرجات، وبفضل اللَّه تعالى -ثم بفضل العلم- يعرف الإنسان كيف يعبُد ربَّه عبادةً صحيحةً، ويعرف كيف يأمر بالمعروف وكيف ينهى عن المنكر، ويعرف كيف يتقي شرَّ الشهوات والشبُهات.

بطلب العلم يكون الإنسان على بصيرة وعلى برهان، وبه يحوز الإنسان فضلًا كبيرًا بالتوفيق في الدنيا وبالدرجات الرفيعة في الآخرة.

وإنَّ مما يُتفاءَل به ويُتباشر به أن يرى المرءُ شبابًا نشِيطِين يَسعون جاهدين في تحصيل العلم، يبذلون أوقاتهم وأموالهم، ويُتعِبون أبدانهم في سبيل تحصيل العلم، وهذه غاية شريفة ومنزلة حميدة ومنقبة جليلة، بل إنَّ ذلك يذكِّرُنا بالرَّعيل الأول من سلفنا الصالح الذين قطعوا أقطارها شرقًا وغربًا شمالًا وجنوبًا في تحصيل العلم، حتى بلغت همتهم أن يرحلوا شهرًا من أجل حديثٍ واحدٍ، ناهيك عن الرِّحْلات المتقطعة دون ذلك، وهذا الأمر -أعني: السعي والرِّحْلة في طلب العلم- قُربة عظيمة، وقد ألَّف أهل العلم في ذلك مؤلفات، من أشهرها: «الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي -رحمه اللَّه تعالى-، وأمَّا ما هو مبثوث في كتب التراجم وكتب أدب طلب العلم فهذا شيءٌ كثير لا يُستقصَى فضلًا عن أن يُحصَر.

ولمَّا كان طلبُ العلم يحتاج إلى جهد وترتيب وضوابط.. كان طلبة

العلم حريصين على أن يَسمعوا وأن يعلموا تلك الضوابط والروافد، علَّها تكون -بعد عون اللَّه تعالى- عونًا لهم على تحصيل العلم.

وسأذكر في مقدمة كلامي أمورًا مشتركة لطالب العلم، سواء في حفظه، أم في فهمه، أم في قراءته، ثم أنتقل إلى التفصيل الميسَّر عن طريقة الحفظ والفهم والقراءة بحسب بضاعتي المزجاة، فأنا حقيقٌ بأن أسمع من غيري لا أن يَسمع غيري منِّي.

* * *

أمور مشتركة لابد لطالب العلم منها في جميع طرق تحصيله للعلم

- **الأمر الأول: الدعاء:**

أن يدعو اللَّه دائمًا، فالدعاء -بفضل اللَّه تعالى- يفتح ما كان مستغلقًا، ويقرِّب ما كان بعيدًا، ويجمع ما كان مفرَّقًا، ويسهِّل ما كان عسيرًا...

والكلام عن الدعاء وشأنه أمرٌ عُنيَ به أهل العلم، أفردوا فيه مصنفات مستقلة، والشاهد من المقال: أنَّ طالب العلم من أحوج الناس إلى الدعاء، وكلما كان العبد أكثرَ ضراعة وابتهالًا مع فعل الأسباب فسيرى من ثمرة دعائه وتوفيق اللَّه له ما لا يخطر على باله.

- **الأمر الثاني: الإخلاص في المقصد:**

لا تنتظر مدح المادحين، ولا ثناء المثنين، ولا إعجاب المعجَبين.. فهذه من أوَّل المهالك والمعاصي في طريق كل عبادة، وبالأخص طلب العلم؛ لأنها عبادة متعدِّية إلى من يسمعها ويقرؤها ومن تبلغه، وليكن هدفك وقصدك مرضاة اللَّه تعالى.

وهنا أمرٌ للشيطان فيه نصيب، وهو أنَّ بعض طلبة العلم إذا عالج نيَّته مرارًا قد يغلبه الشيطان فيصده عن طلب العلم والسعي في تحصيله، وقد بيَّن أهل العلم أنَّ هذا من أعظم تلبيس الشيطان على طالب العلم، فعليه أن يُخلص النية للَّه ويجتهد في ذلك، ومهما لبَّس عليه الشيطان لابد أن يستمر في جهاده، فذلك نوع من التعبد والمجاهدة في سبيل اللَّه.

• **الأمر الثالث: اجتناب المعاصي:**

المعصية مَعْطِب، وهي عائقٌ يقف سدًّا في تحصيل كلِّ خير، وطالب العلم ينبغي أن يكون أحرص الناس على ترك المعاصي وعدم قربها.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها»[١].

وقال علي بن خشرم -رحمه اللَّه تعالى-: «رأيت وكيع بن الجراح ولم يكن بيده كتاب، وكان يحفظ ما لا نحفظ، فعجبت من ذلك فسألته وقلت: يا وكيع، لا تحمل كتابًا ولا تكتب سوادًا في بياض وتحفظ أكثر مما نحفظ؟! فقال وكيع -وقد أسرَّ في أذن علي-: يا علي، إن دللتك على دواء النسيان أتعمل به؟ قلت: أي واللَّه، قال: ترك المعاصي، فواللَّه ما رأيت أنفع للحفظ من ترك المعاصي»[٢].

لذا جاء فيما ذُكر عن الشافعي أنه قال في شعر له[٣]:

شكوتُ إلى وكيع سُوءَ حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأنَّ العلم نورٌ ونورُ اللَّه لا يُؤتَى لعاصي

• **الأمر الرابع: قراءة سير العلماء:**

وهذا الأمر من أنفع الأمور؛ فاقرأ كتُب التراجم لحفَّاظ العلم وعلماء

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٣١٤) طبعة مكتبة الفلاح.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٨٤) طبعة دار الصفا.

(٣) فائدة: شكَّك بعضهم في نسبة هذه الأبيات للشافعي، وعلل ذلك بأنَّ الشافعي لم يكن من تلاميذ وكيع. ويردُّ ذلك: بأنَّ الشافعي حدَّث عن وكيع كما في كتاب الصدقات من كتاب «الأم»، وأمَّا الأبيات فهي مشهورة للشافعي.

الحديث وغيرهم ترى فيها عجبًا، ولولا الأسانيد وتواتر الأخبار لكُذِّبت بعض الوقائع؛ لأنَّ الإنسان يقف مبهورًا متعجبًا من قوة عزيمتهم وعظيم فهمهم وتآليفهم.

وكتب التراجم كثيرة، ومن أنفعها: «تذكرة الحفاظ» و«سِيَر أعلام النُّبَلاء» كلاهما للإمام الذهبي، ناهيك عن كتب طبقات تراجم المذاهب.

وبكل حال؛ ينبغي أن يجعل طالبُ العلم لنفسه نصيبًا من قراءة بعض كتب التراجم، حتى تقوى همَّتُه وتشتدَّ عزيمته.

- **الأمر الخامس: قراءة بعض كتب أدب الطلب:**

تلك الكتب التي صُنِّفت لطلبة العلم، حتى يعرف طالب العلم والمبتدئ في الطلب كيف يتأدَّب بآداب طلب العلم في حضوره لمجلس العلم؟ وفي حضوره عند مشايخ العلم؟ ومع أقرانه؟ وكيف يُعلِّم من يجهل؟ وكيف يتعامل مع أهل بيته؟ وهكذا.. فكُتب الطلب تفتح للإنسان أبوابًا كثيرة من الخير.

ومنها على سبيل المثال: «الجامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي، وكذا «تذكرة السَّامع والمتكلِّم» لابن جَمَاعة الكِنَاني، وكُتب أخرى كثيرة في هذا المبحث.

- **الأمر السادس: مجالسة المتميِّز في حفظه وفي فهمه وفي قراءته:**

ويجمع هذا: مجالسة من ترى حرصه على طلب العلم؛ ذلك لأنَّ أصحابك ليسوا سواءً، فهم يختلفون في عنايتهم بالعلم حفظًا وفهمًا وقراءةً ومحافظةً على أوقاتهم، وتميُّزًا في تعبُّدهم، وتميزًا في سلوكهم.. فاحرص على أن تُلازِم من تَشعُر أنك تستفيد منه علمًا وخُلقًا

وزيادةً في همَّتك.

● **الأمر السابع: مجاهدة النفس وعدم اليأس:**

يستسلم بعض المبتدئين في الطلب في أوَّل مراحله! يعجز عن حفظ متن فيستسلم ويأس، أو يعجز عن إكمال قراءة كتاب فيضعُف، أو يعجز عن فهم درس كان يحضُره فيَعزُب عنه ويغفل عنه!

ولا شكَّ أنَّ هذا ممَّا لا ينبغي أن يكون في طالب علم؛ فعليك أن تجاهد نفسك.. ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وإذا عَلِم اللَّه ﷻ أنك تجاهد نفسك للصبر والمصابرة فأبشر من اللَّه بما يَسُرُّك...

قال ﷺ: «**أفضل الجهاد أن يجاهد الرَّجل نفسه وهواه**»(١).

وقال ﷺ: «**إنما العلم بالتعلُّم، وإنما الحلم بالتحلُّم، ومن يتحرَّ الخير يُعْطَه، ومن يتوقَّ الشرَّ يُوقَه**»(٢).

يقول أبو هلال العسكري -رحمه اللَّه تعالى-:

«وكان الحفظ يتعذر عليَّ حين ابتدأتُ أرومُه، ثمَّ عَوَّدته نفسي إلى أن حفظت قصيدة رُؤبة: «وقاتم الأعماق خاوي المخترق» في ليلة، وهي قريب من مائتي بيت»(٣).

وقد أخبرني بعضُ كبار السن أنه كان هناك رجلٌ في الحرم المكي قدم

---

(١) **صحيح**: «صحيح الجامع الصغير» (١٠٩٩).

(٢) حسَّنه الألباني رحمه الله. «صحيح الجامع الصغير» (٢٣٢٨).

(٣) «الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه» للعسكري (ص٧١).

ورُؤبة: هو ابن العجَّاج، من الشعراء الفصحاء المشهورين.

مُهاجِرًا وكان لسانه أعجميًّا، يقول: فكان إذا قرأ القرآن رفع صوته ليعالِج حركةَ لسانه في نُطق الأحرف العربية.. يقول: فكنَّا نتأذَّى من نبرات صوته المتداخلة، وبعد مدَّة من الزمن أصبحنا نتشوَّق لسماع قراءته إذا قرأ.

الشاهد: أنَّ الإنسان إذا جاهد نفسه ولم يستسلم سيرى من اللَّه فتحًا وتيسيرًا.

- **الأمر الثامن: تذكَّر وانظر في معارفك وفي أقرانك:**

سترى أنَّ هناك من يَصغرك سنًّا قد حصَّل أكثر منك علمًا، وسترى أنَّ هناك من يفتقد ضروريات -وهي عندك كماليات- قد حصَّل أكثر منك علمًا.. هذه المقارنة والمفارقة تزيدك إلى أن تكون مثله أو أحسن منه، والمهمُّ أنك إذا نظرت في أصحابك سترى تمايزًا، وانظر إلى من يقلُّ عنك مالًا وتيسيرًا في سعة الرِّزق وفي سهولة الأسباب.. فإذا رأيت من أولئك من قد فاقك علمًا فلزامًا أن تشحذ همَّتك وأن تغبطهم ولا تحسدهم.

- **الأمر التاسع: ترتيب الأوقات:**

ترتيب الأوقات والسَّعي في المحافظة على لحظات وقتك من أعظم الأسباب في تحصيل العلم؛ فطالب العلم ينبغي أن يكون من أبخل الناس بالوقت أن يَضيع سُدى، وأن يكون من أكرم الناس في بذل العلم ونفع الناس، فانظر في أوقاتك وكم يضيع من الأوقات بلا تحصيل! وبخاصة من ذلك الشاب الحريص على التحصيل.

يقول بعض السلف: «إذا مرَّ عليَّ يومٌ لم أزدد فيه علمًا فلا بورك لي في ذلك اليوم».

ونُقل عن عامر بن قيس أنَّ رجلًا قال له: كلِّمني. فقال له: أمسك الشمس! [١].

ويقول الحافظ ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ **واصفًا حاله إذا ابتُلي بزيارة من يشغل وقته بلا نفع**:

«.. فأعددت أعمالًا تمنع من المحادثة لأوقات لِقَائهم؛ لئلَّا يمضي الزمان فارغًا، فجعلتُ من المستعد للقائهم قطع الكاغِد وبري الأقلام، وحَزم الدفاتر.. فإنَّ هذه الأشياء لابُدَّ منها، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم؛ لئلَّا يضيع شيءٌ من وقتي» [٢].

فأوقاتنا كثيرة وللَّه الحمد، ولكن نحتاج إلى ترتيبها، وبعض الناس يتعذر بعدم البركة في الوقت، ويقال لهذا وأمثاله: البركة موجودة، لكن المعاصي والفوضوية تحجبها، ولو نظرنا في حال بعض مشايخنا رأينا -مع كثرة مشاغلهم- حسن الترتيب في أوقاتهم ذلك؛ لأنهم أعطوا كلَّ ذي حق حقه ومستحقه بتوفيق اللَّه -جل وعلا- أولًا، ثمَّ بعنايتهم بأوقاتهم ثانيًا.

- **الأمر العاشر: تكرار ما حصَّلت من العلم سواء كان محفوظًا أو مفهومًا أو مقروءًا**:

وذلك لأنَّ تكرار الشيء يزيده رسوخًا في الذهن.

يقول بعض علماء علوم القرآن الكريم: «من حفظ بسرعة نسي بسرعة، ومن ختم في خمس لم ينس».

يعني من كرَّر حفظه للقرآن الكريم في كلِّ خمسة أيام مرَّةً فالغالب أنَّ

(١) «صيد الخاطر» لابن الجوزي (ص٢٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) «صيد الخاطر» (ص٢٢٨).

حفظه يكون راسخًا مستقرًّا في ذهنه، فإذا استفدت معلومة فإنَّ تكرارها وترادها والإخبار بها من أسباب رسوخها وبقائها.

وممَّا يَحسُن ذِكره في هذا المقام ما جاء عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إذا قام صاحبُ القرآن فقرأه بالليل والنهار ذَكَره، وإن لم يَقُم به نسيه**»[(١)].

وورد أنَّ ابن عمر رضي الله عنهما مكث بضع سنين في حفظ سورة البقرة[(٢)].

- **الأمر الحادي عشر: نَشْر العلم:**

نشر ما سمعتَ وما قرأتَ وما فهمت بقصد التقرُّب إلى اللَّه تعالى، ثمَّ بقصد تثبيت العلم ونفع الناس، ولذا تلاحظ أنك إذا سمعت الفائدة ثمَّ أخبرتَ بها زيدًا أو عَمْرًا أو أهل بيتك ومن تحبُّ.. فإنَّ في ذلك منافع كثيرة، منها:

- نشر العلم.
- اتِّساع دائرة النفع.
- جريان الأجر عليك، بل وعلى كلِّ من استفاد أو بلَّغته تلك الفائدة في حياتك، وبعد مماتك، فإنه ينالك مثل أجرهم لا يُنقص من أجورهم شيئًا.

- **الأمر الثاني عشر: كثرة شكر اللَّه تعالى وكثرة حمده كلَّما ازددت علمًا:**

قال أبو قِلابة: «إذا أحدثَ اللَّهُ لك عِلمًا، فأحدِثْ له عبادةً، لا يكن

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٦/ ٧)، «السلسلة الصحيحة» (٥٩٧).

(٢) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مقدمة في أصول التفسير» عن الإمام مالك رحمه الله.

همُّك أن تُحدِّث به الناس»[١].

وفي ذلك اعترافٌ بفضل اللَّه عليك، والافتقار إليه، والحذر من العُجْب، وكلما زادك اللَّه ﷻ علمًا وفضلًا فأكثِر من شكر اللَّه تعالى وحمده، فإن ذلك من أسباب الزيادة.. ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

• **الأمر الثالث عشر: الحَذَر من التطلُّع إلى التصدُّر والترؤُّس:**

فذلك من أعظم الموبقات والمعوِّقات لطالب العلم؛ فلا تنظر متى تجلس على كرسيِّ الصدارة، بل اطلُب العلم وطلبُ العلم -بعد فضل اللَّه تعالى- يَقودُك إلى خير كثير، ويدرأُ عنك شرًّا كثيرًا.

أمَّا إذا كان قصد من يطلب العلم أن ينظر متى يترأَّس؟ ومتى يتصدَّر؟ ومتى «يتشيَّخ»؟ فلا شكَّ أنَّ النية هنا مدخولة.. فالحذر كل الحذر!

• **الأمر الرابع عشر: ردُّ الفضل إلى أهله:**

الفضل كله للَّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٣]، هذا لا إشكال فيه؛ لكن من علَّمك علمًا وأفادك فائدةً ودلَّك على أمر جهلته فرُدَّ له فضله.

يقول أهل العلم: من أسباب بركة العلم أن تَرُدَّ الفضل إلى أهله.

إذا أفادك إنسانٌ بفائدة ... من العلوم فأدمن شكرَه أبدا
وقل فلانٌ جزاه اللَّه صالحةً ... أفادنيها وألقِ الكبر والحسدا

وكثيرًا ما يضعف بعضُ الناس عن ردِّ الفضل إلى أهله، وبخاصة إذا

(١) «اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي (ص٣٤- ٣٥).

كان المفيد من أقرانه، ولا شكَّ أنَّ هذا من تلبيس إبليس، فرُدَّ الفضل إلى أهله وأبشِر من اللَّه تعالى بما يَسرُّك.

• **الأمر الخامس عشر: الاستفادة من مشايخ العلم وعدم التفريط في دروسهم:**

وهذا من أعظم الأمور، بل هو من أُصولِ التحصيل العلمي، الاستفادة من مشايخ العلم ليست مقصورةً على علمهم فحسب، بل يتعدَّى ذلك إلى النظر في شريف أخلاقهم وجميل آدابهم مع الآخرين.

• **الأمر الأخير: كثرة تلاوة القرآن الكريم:**

وهذا الأمر يُهمِله كثيرٌ من طلبة العلم، وحقيقة أنَّ كثرة التلاوة -فضلًا عن كونها عبادةً وتزيد الإنسان محبة للَّه تعالى وخشية منه- فإنها ممَّا يزيد في طلب العلم.

وأذكر لكم وصيةً بنصِّها أوصى بها الإمام إبراهيم المقدسي تلميذه عباس بن عبد الدايم -عليهما رحمة اللَّه تعالى- فقال إبراهيم لعباس:

«أكثِر من قراءة القرآن ولا تتركه، فإنه يتيسَّر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ».

قال عباس: «فرأيتُ ذلك وجرَّبته كثيرًا، فكنتُ إذا قرأتُ كثيرًا تيسَّر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير، وإذا لم أقرأ لم يتيسَّر»[1].

فحريٌّ بك يا طالبَ العلم أن تُعنَى بهذا الأمر، وأن تجتهد ما استطعت في قراءة القرآن الكريم، ففي ذلك زيادة رغبة وقوَّة عزيمة في التحصيل

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٨٧).

والطلب، وستزداد حبًّا للتلاوة وتحصيلًا للأجر، ومع كثرة التلاوة ستلاحظ أنه يمرُّ بك آياتٌ تحتاج إلى فهم معانيها، وتمرُّ عليك كلماتٌ قد تكون غامضة عليك تحتاج إلى فكِّ إشكالها، وتمرُّ بك مسائل عقدية وفقهية وأصولية ولغوية وسلوكية وتربوية، فيكون القرآن قد فتح لك أبواب الخير كلَّها، والاستكثار من ذلك والاستغلال عائدٌ إلى عزيمة طالب العلم.

* * *

كيف تحفظ ؟

هناك أسباب كثيرة تقدّم لك في الأسباب السابقة أنها مشتركة في كلِّ أمر : في الحفظ ، والفهم ، والقراءة ، والتبليغ ، وغيرها . .

وأذكر هنا بعض الأسباب المساعدة والمساندة ، وهي خلاصة عن قراءة وتجربة ، وإلَّا فقد يكون المتكلِّم أحوجَ لذلك من السَّامعين ، من ذلك :

١ - اختيار الوقت المناسب :

أحيانًا يكون الذهن مشغولًا بمشاغل حسِّية ومعنوية ويريد الإنسان أن يحفظ ولا يستطيع ، فيصاب بنوع من الإحباط ، والسبب في ذلك عدم اختيار الوقت المناسب ، ولهذا فمن أسباب تيسير الحفظ -بعد توفيق اللَّه تعالى دائمًا- أن تختار وقتًا مناسبًا وأنت خليٌّ من الصوارف الحسِّية والمعنوية ، ولهذا لاحِظْ كيف أنَّ الخشوع في الصلاة يتنافى مع أن يصلي المرء وهو جائع أو عطشان أو يريد النوم .

ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ -عندما تكلم عن قول النبي ﷺ : «لا يقضي القاضي حين يقضي وهو غضبان» - قال :

«أما الإغلاق فقد نصَّ عليه صاحب الشرع ، والواجب حمل كلامه فيه على عمومه اللفظي والمعنوي ، فكلُّ من أُغلق عليه بابُ قصده وعلمه -كالمجنون والسَّكران والمُكْره والغضبان- فقد تكلم في الإغلاق ، ومن فسَّره بالجنون أو بالسُّكر أو بالغضب أو بالإكراه فإنما قصد التمثيل لا التخصيص ، ولو قُدِّر أنَّ اللفظ يختصُّ بنوع من هذه الأنواع لوجب تعميم الحكم بعموم العلة ، فإنَّ الحكم إذا ثبت لعلةٍ تعدَّى بتعدِّيها

وانتفى بانتفائها»[1].

ولهذا من أراد أن يحفظ فعليه أن يختار الوقت المناسب فيكون مهيَّأً نفسيًّا وذهنيًّا وليس بمشغول ولا غضبان ولا مهموم. . .

وهذا الشيء مجرَّب؛ ولذا تجد أنَّ بعض الناس يحفظ كثيرًا مع قلة أوقاته، وبعض الناس لا يحفظ إلا القليل مع كثرة أوقاته، فإذا قارنت وفارقت وجدتَ أنَّ السَّبب -بعد توفيق اللَّه- هو اختيار الوقت المناسب، وأنَّ ذلك من أنفع الأسباب لتيسير أمر الحفظ.

٢- اختيار المكان المناسب:

يختلف طلَّاب العلم في ذلك، فبعضهم يقول: أنا أتهيَّأ في المسجد للحفظ أكثر من البيت، وبعضهم يقول: أتهيَّأ في بيتي للحفظ أكثر من المسجد، والضابط في ذلك: أن تختار وقتًا ومكانًا يلائمان، سواء كان في مسجدك أو بيتك أو في مكتبة عامة أو في مزرعة. . . الشاهد: أنَّ هذا الأمر يعود إلى كلِّ طالب علم بحسب ما يجد الأنفع في نفسه.

٣- اختيار القَدْر المناسب من المتن المراد حفظه أو الشرح المراد قراءته:

بعض طلَّاب العلم يبتدئ في حفظ متن مطوَّل فيضعف عنه، فيصاب بنوع من الفتور والخمول، وقد يصل به ذلك إلى اليأس وترك العلم، ولا شكَّ أنَّ هذا من المغالطة، فالعلم كما قال سلفنا: «لا يؤتيك بعضه حتى تؤتيه كُلَّك»، والعلم كما قال الزهري: «أودية، فمن تخبط فيها

(١) «إعلام الموقعين» (٣/ ١٠٧).

هلك، ولكن إذا أخذها شُعَبًا شعبًا عِلْم وعَمَل وتَعَلُّم».

فالشاهد: اختر قَدْرًا مناسبًا ولو كان يسيرًا، ولهذا بعض طلاب العلم يأتي وله همَّة عالية فيبدأ في متن طويل أو شرح طويل، فإذا حفظ كثرت أغلاطه سواء في إسقاط جملة أو تبديل جملة، أو خطأ لغوي أو نَحْوي، وكذا لو قرأ ذلك الشرح المطوَّل فلم يفهم كثيرًا ممَّا قرأ قد يصاب بنوع من الإحباط، لكن لو أخذ متنًا قصيرًا أو شرحًا قصيرًا وجزَّأه -كما سيأتي بيانه- لوجد أنَّ ذلك التحصيل اليسير يدفعه إلى الاستمرارية حتى يكون الحفظ والفهم أمرًا مألوفًا.

٤- اختيار الهيئة المناسبة:

بعض الناس الآن قد يكون يمشي في السيَّارة مثلًا ثمَّ يريد أن يحفظ، قد يحفظ نوعًا ما.. لكن لو تأخَّر حفظه فقد يصاب بنوع من الضعف، لكن الذي ينبغي هو أن يختار وقتًا مناسبًا ومكانًا مناسبًا وقدرًا مناسبًا وهيئةً مناسبة.

يقول بعضهم: الحفظ في حال المشي والتردُّد أفضل من المجالسة، وأعرف طلَّاب علم يقولون: لا يمكن أن نحفظ إلَّا أن نمشي ذهابًا إيابًا.

وبعضهم يقول: لو أمشي يرتجُّ عليَّ الحفظ.

وبعض الناس يقول: لا أستطيع أن أضبط حفظ القرآن إلَّا وأنا أقوم في وسط الليل وأبدأ في الحفظ، أما في النهار فلا يتيسَّر لي.

فأنت يا طالب العلم لا تقلِّد زيدًا ولا عَمرًا، فقد يكون زيدٌ يناسبه الحفظ وهو جالس، أو وهو يمشي، وقد تحاول أن تحاكيه لكن لا يتيسَّر لك هذا.

وبكلِّ حال؛ فانظر إلى ما ينفعك، والضابط في ذلك: أنت.

* فيكَ الخِصامُ وأنت الخصمُ والحكمُ *

فإذا عرفت من نفسك أنَّ ذلك أنفع لنفسك فافعله .

يقول بعض أئمَّة الشافعية : «القراءة العالية للحفظ ، والقراءة الخفية للفهم» .

وهذا مجرَّب ؛ فإنَّ الإنسان إذا أراد أن يحفظ ثمَّ قرأ بصوت عال وردَّد قد يكون أنفع له ، لكن إن كنت ترى من نفسك أنَّ هذا لا ينفعك أو يؤخِّر حفظك فاسلُك ما تراه أنسبَ لك ، كما سبق تقرير ذلك .

٥- تجزئة المحفوظ :

وهذا يعود لما سبق الكلام عنه ، جَزِّئ المتن إذا كان طويلًا ، بل حتى لو كان المتن قصيرًا جَزِّئه حتى يكون الحفظ أثبت وأرسخ ، فمثلًا إذا أردت أن تحفظ متنًا في الفقه ثمَّ رأيت أن المؤلف قد جعل للطهارة أربعة أسطر ، وجعل للصلاة عشرة أسطر ، فابدأ بتجزئة هذا المحفوظ فأربعة أسطُر في الطهارة قد تسهُل عليك ، لكن المؤلف قد جعل للصلاة عشرة أسطر وحفظها كاملة قد يشقُّ عليك ، إذن فعليك أن تجزِّئها ، ولا تقل : سأحفظ فصلًا كاملًا ! فقد يكون هذا الفصل الطويل لا يتيسَّر لك حفظه كما تيسَّر الذي قبله ، المهمُّ أنك كلَّما جزَّأت الحفظ .

٦- وحِّد النسخة التي تحفظ منها :

لأنَّ الرَّسم ينطبق في الذهن ؛ فرسم الأحرف ، وبدء الصفحة ، ونهاية الصفحة . . مع تكرُّر القراءة في النسخة نتيجته رسوخ ذلك في ذهنك حتى تصير كأنك تنظر فيها عند قراءتك لها ، لكن إذا اختلفت النُّسَخ وبخاصة إذا اختلف ترتيب الأسطر والكلمات فإنَّ هذا قد يؤخِّر حفظك ، وهذا الأمر

مجرَّب في المصاحف، فمثلًا: المصاحف الموجَّهة -التي تنتهي فيها كلُّ صفحة بآية- إذا حفظ الإنسان عليها يختلف ذلك فيما لو أدخل مصحفًا آخر -في أثناء حفظه- غير موجَّه، وهذا مجرَّب، فكلما كانت النسخة واحدةً كلما كان الحفظ أرسخ وأثبت.

٧- شكِّل المتن الذي تحفظه تشكيلًا لغويًّا:

يقول الحافظ ابن الصلاح -رحمه اللَّه تعالى:

«إعجام المكتوب يمنع من استعجامه، وشَكْله يمنع من إشكاله»[١].

يعني: قبل أن تحفظ حاول أن تقرأ المتن مشكولًا، فإذا كان المتن مشكولًا فبها ونعمت، لكن إذا كان المتنُ غيرَ مشكول فاحرص أن تقرأه على شخص متمكِّن من اللغة حتى يضبط لك حفظك بسلامة لفظ.

ومن المعلوم أنَّ من عوَّد نفسه حفظ المتون مشكولةً وقرأها مشكولةً فإنَّ الملَكة عنده ترسخ والسليقة تستقيم، بخلاف ما لو حفظ متنًا مُهمَلًا قد يرفع المنصوب وينصِب المرفوع.. وهكذا سيبقى كثير اللحن في قراءته.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فاحرص يا طالب العلم على شكل المتن، وكذلك في التلاوة إذا أراد الإنسان أن يحفظ سورة ولم يسمعها من مُقرئ أو يقرأها على مقرئ يجيد القراءة، فقد يحفظ غلطًا، لكن إذا حفظها مضبوطة الشكل فلا شكَّ أنَّ هذا يُعين على استقامة سليقة لسانه وعلى ملكة اللغة كذلك.

---

(١) «مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث» (ص٨٩)، منشورات دار الحكمة.

٨- ضع ضابطًا أو مصطلحًا حرفيًّا لما قد يُشكل أو يصعُب حفظه :

قد يكون في المتن كلماتٌ أو جملٌ تخطئ كثيرًا في ترتيبها حين الحفظ ، أو يصعُب عليك ضبطها في أوَّل حفظك ، وتجد من نفسك غلطًا مستمرًّا عند قراءتها ، وهذا أمرٌ معروف ، ولعلاج ذلك اجعل في ذهنك ضابطًا خاصًّا .

وأذكر لك مثالًا الكلُّ يحفظه : لو قلت لأحد إخوتك : اذكر الحروف الأبجدية التي نتكلم بها ، فإذا لم يكن في ذهنه ترتيبٌ في جمل معيَّنة -سواء شعرية أو نثرية- في الغالب فقد يكرِّر حرفًا أو ينقص حرفًا ، لكن إن كان يحفظ قولهم : «أبجد هوز . . . إلخ» انضبط الحفظ .

ومثال آخر : لو سُئل سائل : كم حروف الإدغام بغُنة؟ فلو ذكرت الحروف دون ضابط جامع فقد تزيد أو تنقص أو تكرِّر ، لكن لو قلت : هي أربعة حروف مجموعة في كلمة «يرملون» لانتهى الأمر .

ومثال آخر : في مسائل العرصات يوم القيامة ، هناك حوض ، وهناك صراط ، وهناك ميزان ، فكان ترتيب تلك الأمور حسب الورود عليها يُشكل عَليَّ أحيانًا ، فتبيَّن لي بعد البحث والسؤال أنَّ الراجح في الترتيب أنَّ الحوض أول ، ثمَّ الميزان ، ثمَّ الصراط ، لكن يبقى الإشكال أنيِّ إذا أردت ذِكر القول الصحيح بعد حين من الدهر يلتبس عليَّ الأمر ، فوضعتها ذهنيًّا في كلمة «حمص» ، ح : للحوض ، م : للميزان ، ص : للصراط ، ولم أنسها بعدها بفضل اللَّه تعالى .

وأنا أجزم أنكم ستموتون ولن تنسوا هذه الفائدة ؛ لأنها قد رسخت في أذهانكم بعد عُمر طويل على خير إن شاء اللَّه .

٩- تعويد النفس على الحفظ وعدم الانقطاع عنه :

فالنفس كلما عودتها على أمر اعتادت عليه .

يقول الشاعر :

والنفس كالطفل إن تُهمِلهُ شبَّ على حُبِّ الرَّضاع وإن تَفْطِمْهُ ينفطِم

وخيرٌ من قول الشاعر قول النبي ﷺ : «**إنما العلم بالتعلم**..» وقد تقدم الحديث ، فكلما عودت نفسك على أمر فإنها تألفه وتعتاده .

كان بعض العلماء يقول : «كنت أحفظ باليوم ولو سطرًا واحدًا حتى لا أنقطع عن الحفظ» .

وذلك لأنَّ النفس فيها طاقات إذا أهملتها أصبحت بئرًا معطَّلة .

يقول الخليل بن أحمد الفَرَاهيدي : «لكلِّ امرئ قريحة من الشِّعر ، إن استعملها فارت وإن تركها غارت» .

وكذلك الحفظ والفهم والقراءة؛ كلما عوَّدت النفس عليها اعتادت ذلك الأمر وسهُل عليها .

١٠- تعاهد الحفظ وتكراره مع نفسك أو مع غيرك :

أحيانًا إذا حفظ الإنسان شيئًا من العلم قد لا يستطيع أن يثبته بنفسه ، لكن إذا استعان -بعد اللَّه- بأخ له كان ذلك أنفع له ، وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يخرج مع مجاهد ويقول : «يا مجاهد ، اقرأ عليَّ واقرأ عليك» . وذلك من باب ترسيخ الحفظ في ذهنهما .

فإذا علمت من إخوانك من يُعينك على الحفظ وتتفق وتنسجم معه في صفات مشتركة ، فاستعن به بعد اللَّه عز وجل . . اقرأ عليه ويقرأ عليك ، تكرِّر عليه ويكرِّر عليك ، وسترى من نتيجة ذلك ما يَسُرُّك .

أعرف بعض طلبة العلم -وهذا مجرَّب- يقول: إذا أردتُ حفظ شيء قمتُ بتسجيله بصوتي على شريط ثمَّ أُعيد سماعه عشرات المرَّات، فيزداد رسوخًا في ذهني حتى لا أكاد أنساه مع تقادم الأيام.

وبكلِّ حال؛ الضابط كما قلت: أي طريقة تجد في نفسك أريحية وقبولًا لها فالزمها ولا تتعدَّها إلَّا إلى أحسن منها.

١١- العمل بالمحفوظ:

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: «حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا القرآن -كعثمان بن عفان وعبد اللَّه بن مسعود وغيرهما- أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشرَ آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا»[(١)].

ألا ترون أنَّ بعضنا يحفظ دعاء دخول الخلاء والخروج منه، ودعاء دخول المسجد والخروج منه، لكن لو سألته عن دعاء لبس الثوب أو دعاء دخول المنزل ودعاء الخروج من المنزل فإنه في الغالب لا يحفظها، وإن حفظها حفظها متداخلة يُسقِط بعض الجمل ويكرّر بعضها، والسبب هو: عدم العمل بها، لكنَّ هذا لو عوَّد نفسه العمل بها لزادت رسوخًا في ذهنه.

وأوصى نفسي وإيَّاك بقراءة كتاب الخطيب البغدادي «اقتضاء العلم العمل»، فقد جمع فيه آثارًا ذهبيَّة وبيَّن حرص السلف -عليهم رحمة اللَّه- على تزكية علمهم بعملهم.

---

(١) «مقدمة التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢).

١٢- ذكر بعض أهل العلم بعض المآكل والمشارب المعينة على الحفظ[١]:

فقال بعضهم: إنَّ هذا مجرَّب، وعلى كل حال كلما تحرَّى الإنسان السُّنَّة في أكله -جعل ثُلثًا لطعامه وثلثًا لشرابه وثلثًا لنَفَسه[٢]. - ولزم من المآكل ما يراه أنفع لعقله وبدنه.. كان في ذلك جمعًا بين أمور: منها التعبُّد والتقرُّب للَّه تعالى بهذا الأمر، والاستنان بسُنَّة النبي ﷺ، وكان ذلك أنفع لعقله وبدنه؛ لأنَّ الشرع لا يأتي إلا بكل خير للعقل والبدن.

١٣- ما يتعلق بقراءة نماذج من سير الحفَّاظ:

كُتب التراجم مطوَّلة، لكن هناك كتبٌ معاصرة جمع فيها مؤلفوها نماذج من قوة الحفظ عند بعض أهل العلم، أو عند بعض الحفاظ، وحقيقةً إنَّ الإنسان إذا قرأها يقف متعجِّبًا من تلك الحافظة الراسخة العظيمة الواسعة، ثمَّ إذا تأمَّل قال: إنهم فعلوا أسبابًا بعد توفيق اللَّه تعالى، ولو أنَّ الإنسان دعا ربَّه وفعل الأسباب فربما يؤتيه اللَّه كما آتاهم، وما ذلك على اللَّه بعزيز.

وهناك كتيِّب وقع في يدي أخيرًا للشيخ عبد القيوم السحيباني -من طلَّاب العلم- جمع فيه نماذج لطيفة تؤثر في قارئها عن قوة الحفظ، وعن العَجَب في سرعة الحفظ، فلو أنه قُرئ وقرأه الجميع لاستفادوا وأفادوا، وهمم أهل العلم عظيمة، وعزائمهم عجيبة.

---

(١) كما كان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يأخذ اللُّبان للحفظ. «السير» (١٠/ ١٥). ومن المطعومات التي تساعد على الحفظ وتنشط الذاكرة: العسل، وشرب ماء زمزم، والحبة السوداء، والتمر.

(٢) كما ثبت ذلك في حديث أخرجه الترمذي في «سننه» كتاب الزهد، باب: ما جاء في كراهية كثرة الأكل (٢٣٨٠).

ومن باب الترويح أذكر لكم لطيفة عن قوة الهمة في ضبط الحفظ وعن عظيم العزيمة:

قال عُبيد بن عبد الواحد بن شريك: «حضرتُ مجلسًا كثُر ازدحام الناس فيه، فأحسست في قفاي بحكة وحركة، فلمَّا أردتُ الانصراف إذا برجل يُجلسني، فقلت: ما لك؟ فقال: اجلس، فإني قد كتبتُ المجلس في قفاك فانتظرني حتى أُقابِل به»[(١)].

يقول ابن أبي عاصم: «لمَّا كان من أمر العلويِّ بالبصرة ما كان.. ذهبَتْ كتبي فلم يبق منها شيء، فأعدت عن ظهر قلب خمسين ألف حديث، كنت أمُرُّ إلى دكَّان البقَّال، فكنتُ أكتب بضوء سراجه، ثمَّ تفكرت أنِّي لم أستأذن صاحب السِّراج، فذهبت إلى البحر فغسلته، ثم أعدته ثانيًا»[(٢)].

فهذه الحافظة القوية لم تأتِ عن فراغ، لكن بالعزيمة وعظيم الهمَّة بعد فضل اللَّه تعالى.

* * *

(١) «أدب الإملاء والاستملاء» للسمعاني (ص١٨٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٥٧٧).

كيف تقرأ؟

القراءة نعمة . . وحبُّها نعمة . . لكنها قد تكون نقمة عند بعض الناس، فبعض الناس يقرأ عشرات الكتب بل مئات، لكن لا يفرِّق بين الغث والسَّمين، وبعض الناس يقرأ الغث دون السمين .

والقراءة أنواع : قراءة دراسية، وقراءة ترويحية، وقراءة استطلاعية .

والنوع الأول هو المقصود، وذلك بأن يقرأ الإنسان بتمعُّن وتأمُّل وتفهُّم، أمَّا القراءة الترويحية فهي من باب الاستمتاع ، كما قال سلفنا : ينبغي لطالب العلم أن يكون عنده نوعٌ من الترويح ، فيقرأ في بعض كتب الأدب والشِّعر من باب الترويح ، والقراءة الاستطلاعية هي القراءة بسرعة لتعرف ما في الكتاب ومضمونه ومؤلفه بصفة إجمالية .

والأمُور المتقدِّم ذكرها -والتي ينبغي مُراعاتُها في الحفظ- هي نفسها في القراءة، وأعيد بعضها من باب العناية بها :

١- اختيار الوقت :

فكما خصَّصت وقتًا للحفظ فاحرص على أن يكون للقراءة وقت محدَّد، ولا تزاحمه بشيء آخر، ومن تعذَّر بالأشغال فإنَّ هناك من هو أكثر منك أشغالًا وأكثر منك قراءةً، والسبب في هذا -بعد توفيق اللَّه- هو ترتيب الوقت .

فأوصيك يا طالب العلم أن يكون وقت العلم عندكم هو الأصل، وما سواه عَرَض، فإنك إذا رتبت وقتًا لك لحضور درس أو لقراءة كتاب أو لحفظ متن . . جعلت له وقتًا معيَّنًا فقال لك قائل : يا فلان : نذهب إلى

كذا . . فلا يكون ترك الدرس على حساب الذهاب، بل يكون ترك الذهاب على حساب الدرس إلَّا ما لابدَّ منه، فأنت أدرى بنفسك.

٢- اختيار المكان:

فتهيئة مكان للقراءة لا يُشغل فيه الذهن بغير القراءة والفهم مهمٌّ للغاية؛ لأنه كلما كان الإنسان مهيَّأً في وقته ونفسيته كان أكثر استيعابًا لما يقرأ؛ لأن بعض الناس يقرأ ويتجاوز صفحتين أو ثلاث صفحات ويرى أنه ما استفاد من قراءته شيئًا، بسبب ما يشوِّش عليه أو لضعف فهمه في البدء.

فأنصحك -يا طالب العلم- بعد أن تُهيِّئ لنفسك مكانًا مناسبًا، ثم تبدأ في القراءة صفحة أو صفحتين أو ثلاثًا، ولم تستوعب. . فتوقف عن القراءة ثمَّ حاول أن تسترجع معلومات الصفحات السابقة وتقول لنفسك: استفدت كذا وكذا. . ثمَّ ترحل. . وهكذا هذا يكون كالإبرة تخيط الشقوق فتجمع ما تفرق من الذهن.

٣- الاستشارة في قراءة الكتاب:

قد تقرأ كتابًا في فن معيَّن ويوجد كتاب أخصر منه وأسهل من حيث الأسلوب وأجمع من حيث الفائدة، لكن لعدم استشارتك من هو أعلم منك تُنفق كثيرًا ولا تحصِّل إلَّا قليلًا.

مثلًا: أردت أن تقرأ شرحًا لـ«الأربعين النووية» أو لـ«بلوغ المرام» أو «منهاج السالكين». . فإذا لم يكن عندك معرفة عن طبيعة مناهج الشُّرَّاح فلابدَّ أن تسأل مشايخك الكبار ثمَّ طلبة العلم الكبار حتى يرشدوك إلى شرح يكون منطلقًا لك. . إلى أن تتزود وتقرأ أكثر وأكثر.

٤- اختيار أجود الطبعات:

قبل أن تقرأ كتابًا استشر مشايخك ثمَّ طلبة العلم في اختيار الطبعة المناسبة، فقد يكون للكتاب طبعاتٌ كثيرة لكنها مختلفة، فبعضها مليءٌ بالأغلاط والتداخلات، لكن طالب العلم إذا استشار وسأل فإنه يستفيد كثيرًا ويختصر ما قد يضيع من وقته عند عدم استشارته.

وهناك كتب وبحوث تبيِّن أمثلة كثيرة من الأخطاء الفاحشة في بعض الطبعات، وتجد مع ذلك أنَّ بعض طلبة العلم يقرأ في هذه الطبعات دون استشارة فينقل معلومات خاطئة!

ومن لطيف القول في هذا المقام: أني كنت أقرأ في كتاب «ميزان الاعتدال» للإمام الذهبي، وفي أثناء قراءتي في ترجمة الإمام الدولابي رَحِمَهُ اللَّهُ جاءت عبارة في هذا نصها: «تكلموا فيه لما تبين من أمره الأخير»، وهذه العبارة هي جواب من الإمام الدارقطني لسؤال السهمي عن الدولابي، ومعنى ذلك: أنَّ أمرًا حصل أخيرًا للدولابي، فأخذت أبحث عن هذا الأمر الأخير هل هو في الاختلاط؟ أو الاعتقاد؟ فرجعت إلى كتاب «سؤالات السهمي» للدارقطني فإذا العبارة: «تكلموا فيه، ما تبين من أمره إلَّا خير».

فلاحظ الاستثناء في طبعة «ميزان الاعتدال» جمعوها فصارت «الأخير»! فاختل المعنى رأسًا على عقب، فالعبارة في طبعة «سؤالات السهمي» تزكية له، بينما ما في طبعة «ميزان الاعتدال» فيه توهين له.

فاستشر يا طالب العلم قبل أن تقرأ.

٥- عليك بالبدء بالكتب القصيرة:

بعض الشباب الصغار يكونون متحمِّسين في أوَّل أمرهم، وهذا أمرٌ محمود، لكنهم يبدؤون بمطالعة الكتب والقراءة دون استشارة للعلماء أو طلبة العلم، ومع تقادُم الأيام يبدأ الملل والضعف ينتابُهم، حتى يُصابوا بنوع من الفتور، وما يزال ذلك بهم حتى يرغبوا عن سبيل الطلب!

ولذا على طالب العلم أن يعرف أنَّ طريق العلم طويل، من أراده عجلًا تركه عجلًا.

٦- العناية بما كُتب حول الكتاب الذي تريد قراءته:

مثلًا لو أردت أن تقرأ شرح ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ على كتاب النووي «الأربعين النووية»، أو تريد أن تقرأ شرح الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ «سُبُل السَّلام» على كتاب «بلوغ المرام».. فاحرص على أن تقرأ عن كتاب «سبل السلام» وعن منهج المؤلف ومصطلحاته وطريقته، وكذا ترجمة المؤلف... هذه الأمور وأمثالها تعطيك إحاطةً ومحبةً وفهمًا لمنهج المؤلف، وتنير لك الدرب أثناء القراءة، بخلاف ما لو قرأته وأنت لا تعرف عنه شيئًا، فقد تأتيك مصطلحات في الكتاب فتخطئ في تفسيرها أو تقيسها على غيرها فيكون القياس غير مطابق.

فمثلًا رمز «ق» في «تقريب التهذيب» لابن حجَر يختلف عن رمز «ق» في «الجامع الصغير» للسيوطي؛ ففي «تقريب التهذيب» يُشير إلى ابن ماجه القزويني، بينما في «الجامع الصغير» يشير إلى قولهم: «متفق عليه».

وكلمة «متفق عليه» في «منتقى الأخبار» لمجد الدِّين ابن تيمية تعني: الإمام أحمد والبخاري ومسلمًا، بينما عند غيره تعني: البخاري ومسلمًا فقط.

وهذا مثال على تغاير معاني الرموز ، فكيف بتغاير مناهج الشرَّاح ومصطلحاتهم في أحكامهم؟

٧- اختيار أخصر الشروح :

فإذا كان المقروء مشروحًا ، وكان له عدة شروح فعليك باختيار أخصرها ، وعليك بمشاورة علمائك أو كبار طلبة العلم .

وأوصي نفسي وطالب العلم أن يبدأ بالمختصرات ، سواء في المتون أو في الشروح ، وسيرى أنه يزداد تحصيلًا وإحاطةً بالمتن والشرح المختصر .

فمثلًا : إذا كنت تريد أن تقرأ «كتاب التوحيد» فهناك شروح وحواش كثيرة ، كـ«فتح المجيد» و«تيسير العزيز الحميد» ، وكذا شروح الشيخ ابن عثيمين والفوزان ، وكذا حواش أخصر مما قبلها . . فلو بدأت مثلًا بحاشية ابن القاسم ثمَّ انطلقت وتوسعت في الشروح : الأصغر ثم الأكبر ، لكان ذلك أجمع للفائدة في ذهنك .

٨- تقسيم القراءة :

إذا كان الكتاب المقروء في مبحث معيَّن فحاول أن تقسم ذلك على الأسطر ، أو على المواضيع . . .

فمثلًا : لو كان موضوع الكتاب عن الصلاة ، فاجعل قسمًا من تكبيرة الإحرام إلى السجود مبحثًا مستقلًّا ، ثمَّ من السجود إلى التشهد الأخير مبحثًا مستقلًّا . . وهلمَّ جرًّا .

أو قسِّم الكتاب بحسب عدد الأسطر ، أو بحسب تكامل الوحدة الموضوعية ، أو بحسب الصفحات . . والمهمُّ أنك لا تقرأ جزافًا ؛ لأنك ستفقد كثيرًا من قراءتك ، لكن مع التقسيم والترتيب يسهل التحصيل .

٩- توثيق تاريخ البدء والختم :

تكتب في بداية الكتاب : بدأت بقراءة الكتاب في يوم كذا ، وإذا أنهيت قراءته كتبت في آخره : أنهيت القراءة في يوم كذا ، فهذا أولًا صنيع بعض أهل العلم ، ثمَّ هذا أدعى للهمَّة وأقوى للعزيمة . فإذا مرَّت حقبة زمنية على البدء ثم رأيت تاريخ البدء وتاريخ الختم زادك ذلك همة ونشاطًا ، وأيضًا لو كان الوقت بين البدء والختم أكثر ممَّا يحتاجه الكتاب وعلمت أنَّ ذلك طال بسبب عدم ترتيب وقتك ، فإنَّ ذلك يعينك على شدة المحافظة على الوقت وعدم التفريط فيه .

١٠- احذر من التعجُّل في القراءة بقصد الختم :

قد تقرأ كتابًا ويبقى منه ورقة أو ورقتان ، فلا تعجل حذرًا من بقائها إلى الغد ، وبخاصة إذا كان موضوع البحث فيها يحتاج إلى تأمُّل ، فعليك بالترفُّق حتى تقرأ وتتمعَّن لتفهم وتستفيد فلا تحرم نفسك بسبب التعجُّل ، فربما يكون في الورقتين فوائد كثيرة قد تعدل ما سواها .

١١- إيَّاك والتشعب في أثناء القراءة :

في أثناء القراءة قد ترد كلمة غير مفهومة ، وهذا الكلمة على قسمين : إن كان فهم الجملة يتوقف على فهمها فابحث عن معناها ، وأمَّا إذا كانت الكلمة التي مرَّت عليك لا تؤثر في الفهم فتجاوَزْها وَضَعْ تحتها خطًّا لترجع إليها بعدما تفرغ من القراءة .

والمراد بالتشعب هنا : أنَّ بعض طلبة العلم إذا أراد الرجوع إلى تلك الكلمة -التي يقف فهم الجملة على معناها- فإنه أثناء رجوعه إلى كتب اللغة قد يمرُّ في أثناء بحثه بفوائد كثيرة ، فيقوم بالاشتغال بقراءة تلك

الفوائد والتنقل من ورقة إلى ورقة حتى ينصرف عن البحث الذي هو الأصل في قراءته، ولعل التصرُّف الأفضل في مثل هذا أن يبحث عن معنى الكلمة التي يريد، فإذا وجد مراده وأكمل قراءته الأصلية رجع بعد ذلك إلى تلك الفوائد التي صادفها في أثناء بحثه عن مراده، ويكون ذلك بتقييد أرقام تلك الفوائد عند مروره عليها، ثمَّ بعد فراغه من بحثه الأصلي يعود إلى أرقام تلك الصفحات فيقرأ تلك الفوائد بتمعُّن.

وهذا مثال واحد يقاس عليه غيره مما شابهه، فلو أراد الرجوع مثلًا إلى التأكُّد من صحَّة حديث مرَّ عليه في أثناء قراءته فعليه -عند الرجوع إلى مصادر البحث عن الحديث- ألَّا يشتغل بما يمرُّ عليه من المسائل العلمية المتنوِّعة.

١٢- تقييد الفوائد النفيسة:

فإذا كنت تقرأ في كتاب فليكن قلمك مصاحبًا لك لا ينفكُّ عن أصابعك، فإذا مررت بفائدة نفيسة -وكلُّ الفوائد نفيسة لكن الفوائد تتفاوت- فقيِّد تلك الفائدة في غلاف الكتاب، أو في دفتر مستقلٍّ حتى تعود إليها عند الحاجة.

١٣- إذا قرأت الكتاب لَخِّص الفوائد المدونة:

إمَّا في غلاف الكتاب، أو في الهوامش، أو في دفتر خارجي.. المهمُّ كُن حريصًا على عدم فقدان أيِّ فائدة، وإذا فقدت فائدة ولم تقيِّدها فابحث عنها كما تبحث عن الضالة حتى تجدها، ثمَّ إذا جمعت الفوائد فقسِّمها إلى أبواب: عقدية، أصولية، فقهية... إلخ، وثِقْ تمام الثقة -بعد فضل اللَّه- أنك إذا قرأت كتابين أو ثلاثة أو عشرة ثمَّ قيَّدت ما مرَّ بك من الفوائد

أولًا ثمَّ رتبت تلك الفوائد حسب موضوعها وجعلت لكلِّ نوع من الفوائد دفترًا مستقلًّا تذكر فيه الفائدة النفيسة ومرجعها . . تلك الساعة إذا أعدت النظر فيها أو أردت إلقاء محاضرة أو كتابة بحث أو مناقشة ستجد أن عندك خيرًا كثيرًا .

١٤ - إذا قرأت كتابًا في فن معين فاجعل ذلك الكتاب أصلًا :

مثلًا : قرأت كتابًا في الرُّؤى والأحلام، ثمَّ عثرتَ على فائدة تتعلق بالرُّؤى والأحلام فاكتبها أو أشِر إليها في غلاف ذلك الكتاب، أو في أوراق تجعلها داخله . . وسترى إذا أردت إلقاء محاضرة أو كتابة بحث أو مشاركة في ندوة عن الموضوع أنه قد اجتمع لديك مع الكتاب المقروء فوائد كثيرة، وتلك الفوائد تكون روافد لإكمال ما نقص، أو لإضافة، أو تكميل الكامل إلى الكمال . . وهلمَّ جرًّا .

١٥ - طريقة المقارنة والمفارقة :

فإذا كان للكتاب مجموعة من الشروح فابدأ بالشرح الذي قد يكون أكثرها جمعًا ، واجعله أصلًا ، ثمَّ إذا قرأت شرحًا ثانيًا ومرَّ بك فوائد نفيسة لم تُذكر في الشرح الأصل فقم بتدوين تلك الفوائد في موضعها المناسب في كتاب الشرح الأصل . . وهكذا في كلِّ شرح تقرؤه .

ويحصل تمام النفع بهذه الطريقة بأعمال المقارنة والمفاضلة على الترتيب .

وبالمثال يتضح المقال : «الأربعون النووية» لها شروح كثيرة من المتقدِّمين والمتأخرين، فقد شرحها ابن رجب، وابن دقيق العيد، ومن المعاصرين ابن عثيمين، والفوزان . . وغيرهم .

ففي مثل هذا اجعل شرح ابن رجب هو الأصل، فابدأ بقراءة كلامه على الحديث الأول، ثمَّ اقرأ الشروح بعده على نفس الحديث، ثمَّ انتقل إلى الحديث الثاني، فسترى من خلال ذلك أنك تمكَّنت من اقتناص الفوائد التي ينفرد بها كلُّ شرح عن الشرح الأصل.

١٦- قراءة كتب العبادات الموسمية في موسمها:

وهذا من أنفع الأمور لطالب العلم؛ فحاول أن تقرأ قبل الحجِّ كتب الحجّ بدءًا بالمختصرات ثمَّ المتوسط ثمَّ المطوَّل، فستشعر -إن شاء اللَّه- أنك حصَّلت خيرًا كثيرًا، وهذا مجرَّب فإذا قرأت العبادة الموسمية في وقتها وأنت تتعبَّد اللَّه تعالى في موسمها فستشعر بلذة العبادة؛ لأنك تعمل على علم وبصيرة.

١٧- قراءة كتب الفتاوى:

في هذا المبحث أدلكم على طريقة وجدتها من أحسن الطرق، وقد طبقتها مع بعض الفضلاء فنفع اللَّهُ القائلَ ومن معه، وهذا المبحث ينطبق مع قول البخاري: «باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم».

وأنا أقول هنا: طرح الأخ المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم.

خذ كتابًا من كتب الفتاوى، ويحسن ذلك على وجه الخصوص في أوقات العبادات الموسمية بأن تأخذ كتابًا في العبادة نفسها، وبعد اختيار الكتاب اتفق مع أخ أو إخوة لك على أن يكون بينكم مدارسة في هذا الكتاب، فيقوم أحدكم بقراءة السؤال من الكتاب، ثمَّ يبدأ الحاضرون في

الجواب بحسب ما يظهر لهم، وإذا اختلف جواب أحدهم عن الآخر يقوم كلٌّ واحد منهما بالتعليل لجوابه والرَّدِّ على جواب أخيه، وليس هذا من القول على اللَّه بلا علم، بل هو من باب المدارسة، وعند فراغكم من المدارسة يقوم القارئ بقراءة الجواب، وعندها سيكون الجميع متشوِّقين إلى سماع الإجابة بتلهُّف لمعرفة خطئهم من صوابهم، وهذا التلهف والتشوُّق يزيد من رسوخ الفائدة في الذهن، ثمَّ يطرح القارئ سؤالًا آخرَ. . . وهكذا.

١٨- إذا حصلت على كتاب جديد اشتُري لك أو أهدي إليك فحاول قبل أن تضعه في المكتبة أن تتصفح الفهرس والمقدمة:

وهذه قراءة استطلاعية لتعرف الكتاب معرفة إجمالية، فتقول مثلًا: جاءني كتاب اليوم هو شرح لحديث «**خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه**» والشارح في القرن الرابع الهجري، والكتاب حقَّقَه فلان، فيكون عندك خلفية تكون -إن شاء اللَّه- من الروافد المساندة لقراءته لاحقًا.

١٩- إياك والتنقل من كتاب إلى آخر:

كثرة التنقل بين الكتب بلا ضوابط تُتعب الذهن وتُشتِّت الفائدة، نعم هناك كتب مطوَّلة تحتاج إلى أشهُر وسنوات فهذه يكون لها وقت معيَّن، لكن إذا رتَّبت وقتًا محدَّدًا لكتاب معيَّن فلا تزاحمه بكتاب آخر، رتِّب وقتك وحاول أن تقلِّل من الكتب المقروءة في يومك أو أسبوعك، وذلك لأنك إذا نظَّمت وقتك ورتَّبت ثواني حياتك وجعلت الكتب في أول الأمر قليلة -ككتابين أو ثلاثة- ستجد أنَّ هناك شوقًا يدفعك إلى التزوُّد، وهذا يكون -بعد توفيق اللَّه- منوطًا بترتيب وقتك، بخلاف ما لو أكثرت الكتب

على نفسك وأكثرت التنقل بينها .

٢٠- استعن بإخوانك إذا علمت من نفسك أنها تضعف عن القراءة :

أحيانًا تضعف في القراءة وحدك ولا تستطيع ، فلا بأس أن تستعين بأحد إخوانك، فبعض الإخوان إذا قرأ ينام ويقول : لا أستطيع أن أقرأ أنام أو أملُّ، لكن إذا كانت القراءة مداولة تقرأ صفحة ويقرأ صاحبُك صفحةً أو تقرأ أنت فصلًا ويقرأ هو فصلًا . . لا شكَّ أنَّ هذا يُعين على الرَّغبة في القراءة، بل قد يكون سببًا في أن ينشط الطالب للقراءة في حال وحدته بعد أن كان لا يستطيع ذلك .

٢١- قراءة العَرْض :

فمن أجلِّ وأنفع الأشياء قراءةً : عرض المطوَّلات، مثلًا تقرأ «صحيح البخاري» قراءةَ عرض، وحبَّذا أن يكون معك أخٌ أو أكثر، ثمَّ يقرأ كلٌّ منكم مجموعةً من الأوراق حسب تقسيم معيَّن بينكم، أو حسب أبواب الكتاب ومباحثه، ومن فوائد هذه القراءة الجماعية : الاستمرار والرَّغبة في الاجتماع للفائدة وقراءة كثير من الكتب .

٢٢- الترويح عن النفس بقراءة بعض كتب الأدب :

وذلك بالقراءة في بعض الكتب التي تتنوَّع في مادَّتها العلمية، ما بين آدابٍ وأشعار وقصص فيها نوع من الطرافة والدُّعابة . . ففي ذلك طردٌ لما قد يعتري النفس من السآمة والملل، كما أنَّ في ذلك زيادةً في التوسُّع المعرفي .

٢٣- بعض الناس عنده طاقة ولكنها مسخرة في غير موضعها:

أعرف بعض الشبيبة عنده حافظة وقدرة على الحفظ، لكن لم يستغلَّها استغلالًا مفيدًا، بل سخَّرها في كثير ممَّا لا ينفعه، فتجده يحفظ مئات الأشعار والنوادر والفكاهات، بينما تراه كثير الأخطاء عند قراءة قصار السُّوَر! ناهيك عن أواسط السور، وكذلك لا يحفظ شيئًا من أذكار الصباح والمساء والمنام.. وهذا تفريطٌ منه، ومن أعظم أسباب ذلك التفريط اشتغاله بمفضولٍ عن فاضل.

ومن لطيف ما يذكر في هذا المقام: ما أخرجه الخطيب البغدادي في كتاب «شرف أصحاب الحديث» بعد أن ساق إسناده إلى عثام بن علي قال: سمعت الأعمش يقول: «إذا رأيتم الشيخ لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث فاصفع له فإنه من شيوخ القمر! قال أبو صالح: قلت لأبي جعفر: ما شيوخ القمر؟ قال: شيوخٌ دَهْرِيُّون يجتمعون في ليالي القمر يتذاكرون أيام الناس ولا يُحسن أحدُهم أن يتوضَّأ للصلاة!»[1].

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا نجد مَن أكثرَ من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن حتى ربما يكرهه..»[2].

وهذا مشاهَد؛ ألا ترون بعض الناس يقرأ الجرائد مرَّةً ومرتين، ويقرأ مجلَّات ولا يملُّ ساعة وساعتين، ولو أخذ المصحف وقرأ فيه دقائق ضجر من ذلك! وهذه مصيبة ومأساة، فحاول أن تعوِّد نفسك على قراءة ما ينفعك.

---

(١) «شرف أصحاب الحديث» (ص٦٧- ٦٨).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» بتعليق الشيخ ابن عثيمين (ص٣٠٧) ط. دار الأنصار.

كيف تفهم؟

تقدم ذِكر القواسم المشتركة كالدعاء والإخلاص والصبر والاحتساب وعدم اليأس . . إلى غير ذلك، فيُضاف إلى هذا المبحث أيضًا أنَّ من أسباب الفهم بعد فضل اللَّه تعالى :

١- كثرة الاستغفار :

ذَكَر بعض أهل العلم أنَّ الاستغفار يُعين على وضوح الغامض وعلى كشف المبهم .

واحتج بقوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۚ﴾ [النساء: ١٠٥-١٠٦] .

٢- طلب العَوْن من اللَّه تعالى (الاستعانة باللَّه) :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : «تأمَّلت أنفعَ الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته ﷻ، ثمَّ رأيته في الفاتحة في : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾» (١) .

٣- الترفُّق في الفهم وعدم العجلة :

لا تتعجَّل فتجزم عند قراءتك للكتاب بأنَّ هذا هو المراد من قول المؤلف، أو هذا المراد من الفهم . . فإنَّ «**الرِّفق ما صاحبَ شيئًا إلا زانه**،

(١) نقله عنه ابن القيِّم في «مدارج السالكين» (١/ ٧٨) .

وما نُزع من شيء إلا شانه»، كما صحَّ ذلك عن النبي ﷺ، ولذلك فالعجلة في تفهّم الكلام والجزم القطعي قد يترتب عليه أن يُقوِّل صاحب الكتاب ما لم يَقُل.

- **وأسوق لك مثالًا يتعلق بهذا:**

ذكر ابن حجر في «فتح الباري» أنَّ بعض أهل العلم إذا لم يظهر له وجه مناسبة بين الحديث وبين تبويب البخاري، فإنه ينفي وجود المناسبة، أو قد يتكلّف في إظهار مناسبة بعيدة عن مراد المؤلف -رحمه اللَّه تعالى-، وإليك هذا المثال:

دخل النبي ﷺ على ميمونة رضي الله عنها وعندها ابنُ عباس رضي الله عنهما نائمٌ فقال: «**أنامَ الغُلَيِّم؟**».

بوَّب البخاري رحمه الله هذا الحديث بقوله: «باب السَّمَر في طلب العلم».

وجاء بعض الشُّرَّاح -كما نقل ابن حجر- فذكروا كلامًا فيه: ليس هناك وجه مطابقة.

قال ابن حجر[1]: «والصواب أنَّ منهج البخاري رحمه الله أن يُبوِّب على الحديث وشاهد التبويب في الحديث في موضع آخر» أي: حتى يحث طالب العلم على تقصي أطراف الحديث.

وجاء في هذا الحديث في موضع آخر رواه البخاري: «فجلس مع أهله ساعة».

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٥٧، ٤١٣، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٩٤، ٤٩٧) ومواضع أخرى.

فإذا كان بعض شرَّاح الحديث -رحمهم اللَّه تعالى- لم يوافَقوا على أفهامهم مع سعة علمهم ورسوخهم، فكيف بطالب العلم المبتدئ؟

وبكل حال؛ إذا قرأت كتابًا فلا تقل: قصد المؤلف كذا، قد يكون قصده غير ما تريد، لكن تأنَّ واسْتَشِرْ مشايخك وطلَّاب العلم حتى تستفيد ولا تنسب خطأ لأهل العلم.

٤- التدرُّج في القراءة:

التدرُّج من أعظم أسباب الفهم؛ فلا تبدأ بالمطوَّلات في أول الطريق فإنَّ هذا قد يصيبك بنوع من الضجر والملل، ولكن تمهَّل وعليك بالترفق، وكلما كان الكتاب مختصرًا كان ذلك أنفع لك في نفسك وأنفع لك فيمن تؤدِّي العلم لهم.

وهذا مشاهَد؛ فمثلًا بعض الناس إذا أراد أن يحفظ في الحديث يبدأ بـ«الصحيحين» أو «اللؤلؤ والمرجان» فيتعب وينقطع وهو في أول الطريق، لكن بعضهم يبدأ مثلًا بـ«الأربعين النووية»، فإذا شعر أنه أتقنها وقد حفظ متنًا كاملًا تشجَّع فازداد ترقيًا إلى متن آخر وهكذا..

وكذلك الأمر في العقيدة: لو بدأت مثلًا بـ«اللامية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي من ستة عشر بيتًا فإنك إذا حفظتها وأتقنتها شعرتَ أنك حفظت متنًا مستقلًّا فتتشجَّع لما بعده.

٥- كما قسَّمت المقروء قسِّم ما تريد فهمه:

إذا قرأت احرص ألَّا تتجاوز سطرًا -بل ولا كلمةً- حتى تفهمها، وإذا أعياك الفهم عن مسألة فلا تكن المسألة عائقًا لك عن الاستمرار، بل ضع تحتها خطًّا وأرجئ بحثها حتى حين.

٦- استجماع الذهن:

فذلك من أسباب الفهم كما في الحفظ والقراءة، وتلك من القواسم المشتركة؛ فكلَّما كان الإنسان مهيَّأً نفسيًّا ومرتاحًا بدنيًّا كان ذلك أفضل؛ لهذا لاحظ من حكمة التشريع في قوله ﷺ: «**لا صَلَاةَ بحَضْرَة طعام**...» الحديث[1].

فهذا الحديث قاعدة، وقد تقدم نقل كلام ابن القيم.

وبكل حال؛ إذا كان المصلِّي جائعًا أو عطشانَ فلا يمكن أن يحصل الخشوع ولا فقه ووعي لما يقرأ الإمام، بل ولا تلذُّذ بأذكار الرُّكوع والسُّجود.

أمَّا إذا كان مهيَّأً نفسيًّا فلا شك أنَّ الأثر الإيجابي ينعكس عليه أكثر، كذلك في الفهم لا تقنط، فإذا قرأت ولم تفهم مسألة أو مسألتين فجاهد نفسك على عدم التخاذل، فلو تقرأ مائة مسالة وتفهم مسألة فأنت المستفيد أولًا، فلِمَ تقنط وتيأس وتستسلم؟ وثانيًا: إنك فهمت مسألةً وفهمُ مسألةٍ نعمةٌ من نعم اللَّه تعالى والفائدة تجرُّ أختها كما أنَّ الطاعة تجرُّ أختها.

٧- لا تحاول دائمًا الاتكال على الآخرين بل عوِّد نفسك على الفهم:

مثلًا: أنا أقرأ في كتاب فِقْهٍ، سأحاول بجهدي أن أفهم مراد المؤلف؛ لأنَّ مجرَّد بذل الجهد واستفراغ الملكة يجعل عندك نوعًا من محاولة الفهم، أمَّا عدم تعويد النفس على محاولة الفهم فذلك مضرٌّ لطالب العلم

(١) رواه مسلم.

معيقٌ له عن الاستمرار في الطلب.

والشاهد: أن تبذل جهدك.

فمثلًا: في التلاوة أنت الآن تقرأ القرآن الكريم -ليس المقام مقام فتيا- كأن تقرأ في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥]. ما المراد بـ«الخُنَّس»؟ تحاول من خلال ما قرأت من كلمات مرادفة وكلمات مشابهة أن تسأل نفسك، وليس المقام مقام القول على اللَّه بغير علم، بل المقام مقام تعوُّد.

فإذا بذلت الجهد ثمَّ رجعت إلى الكتب أو إلى سؤال أهل العلم فوجدت الفهم صحيحًا مطابقًا فاحمد اللَّه، وإن وجدت ما فهمته مخالفًا فاحمد اللَّه أنك دللت على الصواب.

٨- تلخيص رؤوس المسائل التي فهمتها:

إذا أممت قراءة كتاب أو مبحث في كتاب فاحرص على تلخيص الفوائد والمسائل على شكل رؤوس أقلام لها، إما في غلاف الكتاب كما سبق ذِكرُه، أو حاشية الصفحة، وذلك أنك كلما لخصت وبخطٍّ مغاير لخط الكتاب فهو بإذن اللَّه من أسباب رسوخ الفائدة وفهمها عند تفصيلها.

* * *

وصايا جامعة

وبعد هذا أُوصيك يا طالب العلم وأوصي نفسي بكثرة المجالسة لمشايخ العلم الكبار، فهؤلاء ينمُّون عندك الفهم، فتعرف كيف يتعاملون مع النصوص؟ وكيف طريقتهم في دروسهم؟ كيف المنهج في فهم كلام أهل العلم؟ وسترى أنك مع تكرار المجالسة تجد لذةً في قراءة الكتب، ولذةً في محاولة فهم مراد المؤلف، ولذة في محاولة شرح كلامه.

أوصيك بالعلوم المساعدة: فهناك علوم آلة كالنحو واللغة وأصول الفقه.. تلك العلوم تُعين على فهم الكلام وإيضاح معنى المتكلم، والعلم إذا طلبته تزداد رغبةً فيه، كما أنَّ صاحب المال لا يملُّ منه، كذلك صاحب العلم لا يملُّ منه.. «**مَنْهُومَانِ لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا**»[1].

اللَّهَ ربِّي وربَّكم أسأل أن يجعلني وإيَّاكم ممَّن رزقهم التقوى في السِّرِّ والعلن، وفي القول والعمل.

وأسأل اللَّهَ أن يُحبِّب إلينا الإيمان ويُزَيِّنه في قلوبنا، وأن يُكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وأن يجعلنا من الراشدين.

كما أسأله تعالى أن يجعلنا مباركين أينما كنَّا..

اللَّهمَّ انفعنا بما علمتنا، واجعل علمنا خالصًا لوجهك الكريم.. إنك ربنا سميعٌ مجيب الدعاء.

* * *

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» كتاب العلم باب «منهومان لا يشبعان» (٣١٨).

طالب العلم

بين الترتيب والفوضوية

المقدمة

الحمد للَّه الذي خلق فسوَّى، والذي قدَّر فهدى.

الحمد للَّه الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور.

الحمد للَّه فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلًا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء، إن اللَّه على كل شيء قدير.

والصلاة والسلام على رسول اللَّه الذي جاءنا من أنفسنا عزيز عليه ما عنتنا، حريص علينا، بالمؤمنين رؤوف رحيم، قائم بحقوق خالقه أتمَّ قيام، غير مضيِّع لحقوق المخلوقين؛ لأنَّ مِن لازم القيام بحقوق اللَّه تعالى القيام بحقوق المخلوقين، مرتِّب لجميع أموره، قد أعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه مع مراعاته لشؤون أهله أتمَّ مراعاة وأكملها، ولم يهمل حقوق نفسه فقد أعطى لبدنه حقه ولجميع جوارحه حقوقها، وبعد:

فهذه رسالة عن الترتيب في حياة طالب العلم وآثاره الحميدة، والفوضوية وعواقبها الوخيمة... كتبتُها طمعًا في الأجر والثواب، ونُصحًا لكاتبها وسامعها ومَن بَلَغ، وفيها -بتوفيق اللَّه تعالى- إجابات على أعذار يتشبَّث بها بعضهم ليرقع نقصه وتقصيره:

أحدهم يقول: أشغالي أكثر من أوقاتي...

وثانٍ يقول: لي زمن طويل أطلب العمل ولم أحصِّل شيئًا!

وثالث يقول: لا يمكن الجمع بين طلب العلم وبين أشغال البيت...

ورابع يقول: هذا الوقت كثرت فيه متطلبات الحياة، من ضروريات وكماليات، وبين ذلك قوامًا، فلا نستطيع القيام بمسؤولياتنا..

وخامس يقول: المسافات في مدينتي طويلة وزحمة الطرقات مستديمة . .

وسادس يقول: لا تتخيَّل كم أقضي الساعات في مشاغلي الخاصة، ناهيك عن العامَّة . . .

وسابع يقول: زماننا هذا نُزِعت منه البركة . .

وبكل حال:

نعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا وما لزماننا عيبٌ سوانا

إذا قلَّبت النظر في حياة هؤلاء . . . وجدت الفوضوية قد ضربت أطنابها . . فوضى في صلة أرحامهم، فوضى في مواعيدهم، فوضى في بيوتهم، فوضى في زياراتهم، فوضى في أسفارهم، فوضى في حضور الدروس، فوضى في ترتيب مكتباتهم، فوضى في وقوف سياراتهم . . .

ولمثل هؤلاء يقال: جاهدوا تلك الهمم الضعيفة والعزائم العليلة، فالخير موجود والبركة لا تنقطع.

واجعلوا في سويداء قلوبكم ونصب أعيُنكم: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾، وفي الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي**».

ثم أيضًا:

أين أنتم من: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ﴾؟

أين أنتم من: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾؟

أين أنتم من قول النبيِّ ﷺ: «**إنما العلم بالتعلُّم**»؟ ومن قوله ﷺ: «**ومن يتصبَّر يُصبِّره اللَّه**»؟

واعلموا -رعاكم اللَّه تعالى- أنَّ من استعان بربِّه ثمَّ جاهد نفسَه ورتَّب

أمورَه سيرى ما تقَرُّ به عينُه وينشرح به صدرُه؛ من بركةٍ في الوقت، وتيسير في الأمر.

والحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات.

الرياض
صباح الأربعاء
٨/ ٤/ ١٤٢٨هـ

الترتيب من سنن اللَّه تعالى الكونية

تدبر في حركة الكواكب في هذا الكون الفسيح، وكيف أنها تسير بانتظام دقيق لا يختلُّ عن مساره ولا يحيد.. ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

تأمل في تعاقُب الليل والنهار.. ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٧- ١٨]، ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤].

فقُل لي بِرَبِّك.. كيف لو استمرَّ النهارُ أو الليل سرمدًا إلى يوم القيامة؟ هل ستنتظم حياة الناس؟ كلَّا.. سيختلُّ الأمر كله، ذلك أن اللَّه تعالى خلقَ الأسباب ورتَّب عليها المسبَّبات بقدَره وهو العزيز العليم، فجعل الليل لباسًا والنهار معاشًا، وجعل في الشمس مصالحَ للبحار والأرض والناس والنبات والحيوان، فلو استمرَّ الليل سرمدًا لترتب من ذلك فسادٌ عريض، وكذا لو لم يكن ليلٌ واستمرَّ النهار.. ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧١- ٧٢].

فسبحانَ من أعطى كلَّ شيءٍ خلقه ثمَّ هدى.

وتأمَّل في تعاقُب الفصول من شتاءٍ وصيف وخريف وربيع، ثمَّ قلِّب الطرفَ ببَصَرٍ وبصيرة، وانظر إلى كيفية خلق الأرض وعظيم مساحة الماء على سطحها مقارنةً باليابسة، ثمَّ انظر في شأن الأنهار وكيف جعل اللَّه منتهَى مصبِّها في البحار، فكيف لو كانت تسيح على الأرض؟ ما الذي

سيحصل للناس بل للأرض جميعًا؟!

وممَّا يحسُن ذِكرُه هنا: جريان الأنهار وعدم ثباتها كالبحار. . . ذَكَر بعضُ أهل العلم أنَّ الماء العذب لو بقي راكدًا لتعفَّنت رائحتُه ولم يُشرب، بخلاف الماء المالح، فسبحان الحكيم الخبير.

واعْجَبْ من الترتيب والنظام في حياة البيئة! ولنأخذ مثلًا حياةَ سباع الوحش والطير في شأن طعامها، فسباع الوحش -كالأسد والنمر- تصطاد فريستَها من البقر والغنم أو الظباء أو غيرها، ثمَّ تأكل حتى تشبع، فتأتي بعدها صغارُ السِّباع من ضباع وذئاب، بعدها تأتي جوارح الطير، ثمَّ تأتي قوارض الأرض الصغيرة من حشرات وغيرها لتقضي على ما تبقَّى. . .

وإذا قُدِّر أنَّ جوارح الطير وقوارض الأرض لم تأت؛ فإنَّ الشمس وتقادُم الأيام تُفنِي ما تبقَّى من الجِيَف، فكيف يكون الشأنُ لو بقيت تلك الجِيَف تُفرِز رائحتها العفنة مع تقادم الزمن؟! ألا تختلُّ طبيعة الحياة؟

وهنا وقفة. . لو كان عددُ الوحش أكثرَ من عدد الأنعام التي تفترسها، فهل ستنتظم حياة البيئة؟ كلَّا. . بل سيحصل خللٌ وفناء؛ لعدم أسباب التوارث الخلقي في بقاء الجوارح.

ولذا كان من عظيم حكمة اللَّه تعالى كثرةُ الأنعام وقلة الجوارح نسبةً إليها، وهذا من ترتيب الأمور لتستمر الحياة كما أراد اللَّه تعالى.

شاهد القول: أنَّ الحياة في كلِّياتها وجزئياتها -كونًا وشرعًا- قد بلغت غايةَ الترتيب والإتقان، فتبارك اللَّه أحسن الخالقين.

وانظر كذلك إلى التفاوت بين الناس. . . فهناك حاكمٌ ومحكومون، وهناك خدمٌ ومخدومون، لو كانوا سواءً لفسدت الأرض، ولكن ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢].

الترتيب في حياة الأمم

كلُّ أمم الأرض بينهم قواسم مشتركة في تنظيم شؤون حياتهم، ففضلًا عن تفاوت الناس بين رئيس ومرؤوس، هناك نظام لترتيب شؤون حياتهم، فهناك نظامُ الطرق والعمل والسفر وما يتبع ذلك من شؤون البناء والزراعة والصناعة. . . كلُّ ذلك بقيود ولوائح تنظيمية.

والناظر في حياة المجتمعات والدول يرى أنَّ أكثرها عنايةً بترتيب شؤون حياتهم هم أهنؤها بتسيير معاشهم وراحة أبدانهم.

فانظر تلك المجتمعات التي تُعنَى بتطبيق نظام المرور مثلًا، إذا تقيَّد الناسُ به كيف يسيرُ الرَّاكب مطمئنًّا عالمًا بما له وما عليه من شأن الطريق، وفي المقابل كيف يكون الشأن في إهمال نظام السَّير من عدم الاعتناء به من جهة الحاكم أو المحكوم؟!

وببالغ الأسف بالمقارنة مع ديار المسلمين. . انظر إلى كثير من ديار الغَرب وسترى أثر العناية بالترتيب في شؤون الحياة.

اللَّهَ أسأل أن يُصلِح أحوالَ المسلمين في أمور دينهم ودنياهم.

* * *

الإسلام دين الترتيب والكمال

الناظر في أمور الإسلام وتشريعاته بعين البصيرة يرى أنَّ الإسلام عُني بالترتيب والكمال في جميع أحكامه الكلية والفرعية، فمثلًا في شأن العبادات هناك ترتيبٌ عجيب وتنظيم دقيق، وبالمثال يتضح المقال:

هناك عباداتٌ زمانية منها ما هو يَومي كالصلوات الخمس، ومنها ما هو أسبوعي كصلاة الجمعة، ومنها ما هو سنوي كصيام رمضان، ومنها ما هو عُمري- يعني: لا يجب إلَّا مرَّة في العُمر- كالحج، ومنها ما يكون بحسب سببه كالكسوف والاستسقاء، ومن العبادات ما يكون مقيَّدًا بمكان معيَّن كالحج لا يكون إلَّا في مكَّة.

ثم تأمَّل الترتيب في نفس العبادة... فمثلًا الصلوات المفروضة خمس صلوات، فيهن ركعات جهريَّة وركعات سِرِّيَّة، وفيهنَّ الرُّباعية والثلاثية والثنائية، ثمَّ تأمل في الركعة نفسها، واعجب من حُسن ترتيب أدائها.. قيامٌ ثمَّ ركوع، ثمَّ رفعٌ واعتدال، ثمَّ سجود، ثمَّ رفعٌ واعتدال، ثمَّ سجودٌ، ثمَّ رفع واعتدال... وانظر إلى عظمة الترتيب في تنوُّع أذكار الرَّكعة.. قراءةٌ في القيام، وتعظيمٌ في الرُّكوع، وثناءٌ وحمدٌ في الرَّفع منه، ودعاءٌ في السجود...

ثمَّ ارجع البصر مرَّة أخرى إلى مناسك الحج، وقلِّب الطرف في أمور المناسك لترى عجائب وعظائم في العناية بالترتيب... تنقُّل بين المشاعر بترتيب، ورميُ الجمار بترتيب، والطواف بترتيب، والسَّعي بترتيب، بل شوط الطواف والسعي بترتيب، ففي شوط الطواف تقبيلٌ ومسح ورَمَل في الثلاثة الأُوَل... وكذا، تشريعٌ من حكيم خبير.

النبي ﷺ أحسن الناس ترتيبًا لجميع شؤونه

قبل سياق الكلام في هذا المبحث أُذَكِّر مَن تذرَّع وتعذَّر بكثرة مشاغله، واشتكى من عدم قيامه بلوازمها فأقول له:

لو فتَّشتَ في كتب التراجم والتواريخ فلن تجد أحدًا أكثر شُغلًا من النبيِّ ﷺ، ومع كثرة مشاغله فقد كان يقوم بها على أحسن وجه وأكمل صورة، ومصداق ذلك وهو شاهد المقال:

أن الناظر والمتتبِّع لما جاء في كتُب الحديث والسِّيَر والشمائل في سيرة النبيِّ ﷺ مع الناس ومع خاصة أهله يَعجَب من كثرة مشاغله وشؤونه، ويزداد عجبُه من قيام النبيِّ ﷺ بها بعناية تامَّة، ويبلغ العجب شأوًا بعيدًا إذا رأى في حياته ﷺ أوقاتًا للترويح عن نفسه وعن أهل بيته، ناهيك عن القيام بشؤون أهل بيته أتمَّ قيام وأكمله، وبالمثال يتَّضح المقال:

كان ﷺ يقوم بأعمال متنوِّعة خاصَّة وعامَّة داخل المدينة وخارجها، فمن ذلك: تبليغ العلم، وقيادة الجيوش، واستقبال الوفود وإمامته بالناس جُمُعة وجماعة وإفتاؤه للناس، وإجابة أسئلة غير المسلمين رجاء هدايتهم، وتقسيم الغنائم، وعيادة المرضى من المسلمين، وغيرهم، وتشييع الجنائز، وزيارة المقابر...

زِدْ على هذا أنه كان يُؤتَى بالصِّبيان فيُبرِّك عليهم ويُحَنِّكهم ويدعو لهم، وكان ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم، وكان يزور الأنصار ويُسَلِّم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم، وكان يَقبل الهدية ويُثيب عليها، ويمشي مع صاحب الحاجة ليقضي

حاجته، ويشفع إذا طُلِبت منه الشفاعة. . .

وأمَّا فيما يتعلق بالنوافل فأمر عجاب. . . ! فقد كان ﷺ يُصلي قبل الظهر أربعًا، وأحيانًا ركعتين، وبعدها كذلك، وبعد المغرب ركعتين، وبعد العشاء ركعتين، وقبل الفجر ركعتين، ويُصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، وكان يقوم حتى تتفطَّر قدماه. . . ولم يُضيِّع حقَّ أهله، بل قال: «**خَيْرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»، فكان ﷺ يرقي مَن مَرِضَ مِن أهله، ويُداعب أولادَه وأحفاده.

ومع ذلك كلِّه لم يضيع حقَّ نفسه فأعطى جسده حقه؛ فكان يصوم ويُفطر، ويقوم وينام، ويأكل اللحم، ومن عنايته ﷺ بنفسه وشؤونه الخاصة أنه كان يخصفُ نعله، ويرقع قميصه، ويَنحر أضحيته، ويحلب شاته، ويرقي نفسه، وكان من عنايته بنفسه ﷺ أيضًا أنه كان أنظفَ الناس، وكان يُعرَف بريح الطِّيب إذا أقبل.

ومع هذه الأعمال المتنوِّعة المتكرِّرة فقد بقي في وقته زمانٌ للترويح، فقد سابق بين الخيل المضمَّرة والخيل التي لم تضمَّر، وكان ينظر إلى بعض الحبشة وهم يلعبون بحرابهم وأطال النظر إلى لعبهم ليتمكن أهلُه من النظر إلى لعبهم، وسابق عائشة رضي الله عنها. . . إلى غير ذلك ممَّا يَصعُب تدوينُه فضلًا عن حصره ممَّا كان يقوم به ﷺ من الأعمال التي لو قسمت على سبعين لَوَسِعَتْهُم، بل قد تزيد عليهم، لكن بتوفيق اللَّه تعالى له ثمَّ بعنايته ﷺ بأموره وترتيبها ممَّا جعلها تكون على أحسن حال وأتمِّ كمال.

* * *

طالب العلم بين الترتيب والفوضوية

لتعرف قيمة الترتيب وعظيم أثره وآثاره في حياة طالب العلم . . قارن بين طالبَي علم ؛ أحدهما حريص على أوقاته لا يفرِّط في جزئيات وقته فضلًا عن كلِّياتها ، يقسم أوقاته على ما يحتاج من الأمور بعناية تامَّة . . كلٌّ ذلك بترتيب ذهني مسبق ، ثمَّ يبدأ يومَه أو أسبوعه أو شهرَه أو عامه وقد رسم خطَّة أعماله ، فتراه -بإذن اللَّه تعالى- منتظمًا في مسيرته ، تقضى أوقاته ويحصل مراده بفضل اللَّه تعالى ثم بعنايته بالترتيب .

بينما ذلك الذي لم يرتِّب أموره وأخذ الأمر بفوضى وعشوائية ستراه يُهدِر أوقاته ويُنهِك جوارحه ويُتعِب نفسه ، بل وقد يُتعِب غيرَه وقد يضرُّ نفسه وغيرَه بسبب تلك الفوضوية المذمومة شرعًا وعقلًا .

فطالب العلم قدوة في شأنه كله ؛ فإن أحسن وتأثر به مَن خالطه فذلك نفعٌ للجميع ، أمَّا إن كانت الأخرى -بأن عُرف عنه إضاعته لأوقاته وتفريطه في أموره تجاه نفسه وتجاه الآخرين وتأثَّر به من خالطه- فذلك ضررٌ على الجميع .

* * *

من أسباب الفوضوية

أولًا : التواكل والتسويف .

ثانيًا : عدم تقدير قيمة الوقت .

ثالثًا : عدم العناية بأشغاله وأموره ابتداءً .

رابعًا : تقديم شغل على آخَر وتأخير أشغال أخرى دون مقارنة .

خامسًا : استصعاب الأمور[1] .

سادسًا : اللامُبالاة .

سابعًا : اليأس والخمول .

ثامنًا : اتِّخاذ القرار بسرعة دون تأنٍّ وترفُّق . قال ﷺ : «**إنَّ الرفق لا يكون في شيءٍ إلَّا زانه ، ولا يُنزَع من شيءٍ إلَّا شانه**» .

تاسعًا : اتِّخاذ القرار وهو مشغول البال مضطرب الفكر ، ومثل هذا تكون قراراتُه عشوائيةً وأمورُه فوضوية ؛ لأنَّ البال إذا كان مشغولًا لا يتأتَّى لصاحبه النظر في الأمور وتقديرها حق قدرها .

ولذا جاءت الشريعة بنهي القاضي عن الحُكم بين الناس وهو غضبان . قال ﷺ : «**لا يقضي القاضي وهو غضبان**» .

وقد ذكر أهلُ العلم أنَّ مَنْعَ القاضي ليس مقصورًا على حالة الغضب فحسب ، بل يُقاسُ عليها غيرُها من جوع وعطش . . . إلى غير ذلك .

---

(١) من جميل ما سمعتُ في هذا المقام : «المتفائل يرى في كلِّ صعوبة فرصة ، والمتشائم يرى في كلِّ فرصة صعوبة» .

عاشرًا: المبالغة في التفاؤل ممَّا يولِّد عند عدم تحقيق طموحاته ومرئيَّاته نوعًا من الفوضى الذهنية والبدنية.

* * *

أمثلة للفوضوية عند بعض طلبة العلم

هذا الأمر قد تعمُّ به البلوى عند الكثير، ولا شك أنه مذموم لكنه في شأن طالب العلم أقبح؛ لأنه يعلم ما يجهله غيرُه، فضلًا عن كونه قدوةً يتأثر به من رآه ومن سمعه ومن بلغ، وسأضرب لك أمثلة من الفوضوية في حياة بعض طلبة العلم لنقلع عنها إن كنَّا مبتلين بها، ولنحذر ونحاذر منها إن كنا معافين منها، فمثلًا:

- **الفوضوية في أداء الفرائض:**

تارةً بفواتها، وتارةً بفوات بعض ركعاتها لأجل التأخُّر المعتاد منه.

ومن أسباب ذلك التأخُّر: عدم وضوئه إلَّا عند الإقامة أو بعدها.

ومن الأسباب أيضًا: أنه قد يكون منهمكًا بشغل -من كتابة أو قراءة- فيستمرُّ في قراءته أو كتابته ليختم نهاية الكتاب أو مبحث منه، والشيطان يزيِّن له ذلك ويحسِّنه.

ومن الأسباب أيضًا: تلبيس الشيطان بأنَّ عادة الإمام التأخُّر في إقامة الصلاة.

وقِسْ على ما يشابه هذه الأسباب.

شاهد المقال: أنَّ طالب العلم هذا لو عُني بترتيب أوقاته وأعماله، وقسم تلك الأعمال على تلك الأوقات ولم يزاحم أمرًا بآخَر، وقدَّم ما يستحقُّ التقديم، وأخَّر ما يستحقُّ التأخير... لتخلص من تلك الفوضوية المشينة.

وعودًا على بدء؛ هذه الفوضوية التي تسبَّبت في فوات بعض الفرائض

أو فوات بعض ركعاتها . . . لو أنَّ هذا رتَّب وقته وعوَّد نفسه الاستعدادَ للصلاة بوقت يُقدِّره بحسب ظروفه وعُني بذلك تمامَ العناية المستطاعة . . لو كان ذلك فسيرى بإذن اللَّه تعالى تيسيرًا من اللَّه تعالى في إدراك الخير وتحصيل الأجر، ناهيك عن الرَّاحة النفسية والطمأنينة القلبية في أثناء الذهاب إلى الصلاة، فكيف عند أداء الصلاة؟!

• **ومن الأسباب التي تُعينه على تجنُّب تلك الفوضوية في التخلُّف والتأخُّر عن الصلاة:**

• **أن يحرص أن يكون على وضوء دائمًا، وفي ذلك مصالح كثيرة:**

- **منها**: تبكيره في الذهاب إلى المسجد.

- **ومنها**: أن يشمله قوله ﷺ: «**استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أنَّ أزكى أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلَّا مؤمن**»[(١)].

- **ومنها**: أنَّ الملائكة تدعو لمن نام على طهارة كلما تقلب في نومه. قال ﷺ: «**طهِّروا هذه الأجساد طهَّركم اللَّه، فإنه ليس من عبدٍ يَبيت طاهرًا إلَّا باتَ معه في شِعاره مَلَك لَا ينقلبُ ساعةً من الليل إلَّا قال: اللَّهمَّ اغفر لعبدِك فإنه بات طاهرًا**»[(٢)].

فإذا كان هذا في حال النوم، فلعل المحافظ على بقائه متوضئًا يناله شيءٌ من هذا، والعلم عند اللَّه تعالى، ولو لم ينلهُ ذلك فما سبق فيه فضلٌ عظيم.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٠)، وابن ماجه (٢٧٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٢٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي (١٠/ ١٧٨): «وإسناده حسن».

• **أن يجعل الأذان فيصلًا بينه وبين مشاغله وجلسائه، ويكون هذا هو الأصل في شأنه.**

وممَّا يحسن ذِكرُه هنا: ما ذكره يحيى بن معين عن إبراهيم بن ميمون الصائغ أنه «كان إذا رفع المطرقة فسمع النِّداء لم يرُدَّها»[1].

وكان الأسود إذا حضرت الصلاة أناخ بغيرَه ولو على حجر[2].

* * *

(١) «تهذيب التهذيب» (١/ ١٧٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٣).

الفوضوية في النوم

وهذا من أعظم الأسباب في ضياع الأوقات وتراكم الأشغال . . فبعضهم إذا أسلم نفسه للنوم استرسل معه دون مراعاة لما قد يُفوِّته من واجبات شرعية وغيرها ممَّا يضرُّ تأخيرُه .

وبعضهم ليس له وقتُ نوم معيَّن ؛ تارةً بعد الفجر ، وتارةً بعد العصر ، وتارةً بعد المغرب ، وتارةً سهرٌ متواصل ونوم متفرِّق !

ومثل هذا بفوضويته يَقتُل هِمَّته ويُهدِر أوقاته ، بل قد يغلب عليه داءُ الكسل والخمول ؛ لأنَّ من عوَّد نفسه شيئًا ألفته .

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على حُبِّ الرَّضاع وإن تفطمه ينفطم

ويضاف إلى آثار فوضوية النوم أنَّ ذلك قد ينعكس على صحَّة الجسم .

● **ومن الترتيب في النوم :**

- تحديد وقت معيَّن للنوم ، وليكن مثلًا قرابة الساعة الحادية عشرة ليلًا ، فاحرص أن يكون نومُك قريبًا من هذا الوقت ، ومعلومٌ بدهًا أنه قد تحصُل ظروف تؤخِّر النومَ عن وقته ساعة أو ساعات ، هذا لا إشكال فيه ويحصل لكل أحد مثلُ هذا ، إنما المقصود هنا هو أن يحرص طالب العلم جاهدًا على عدم الإخلال بوقت نومه الأصلي .

- وممَّا يتعلق بترتيب النوم وضعُ أسباب لترتيب استيقاظه ، مثل جرس التنبيه في السَّاعة أو جرس التنبيه في الهاتف ، وغير ذلك .

* * *

الفوضوية في قضاء الحوائج

ومن أمثلة ذلك: تأخير قضائها بالكلية إمَّا بالتسويف أو بتوكيل مَن ليس أهلًا لذلك، أو بقضاء بعض الحاجة وترك الباقي.

وهذه الفوضوية لها أضرار على صاحبها.. فمن ذلك: تراكم الأشغال واشتغال البال بها، وقد تدعو الحاجة أحيانًا إلى شيء من تلك الحوائج يحتاجها الأهل أو البيت أو هو بنفسه في ذلك الوقت ولا بدَّ منها، وقد يكون في أثناء ذلك مشغولًا بأمر أو بأمور لا تحتمل التأخير، فتأتي تلك الحاجة فتزيده شغلًا، وقد تُربِك عليه أمورَه فتستهلك منه أوقاتًا مضاعفةً، ولو أنه سارع بقضاء تلك الحاجة في وقتها لترتَّبت أمورُه وانتظمت أوقاتُه.

* * *

الفوضوية في الزيارات

ترتيب طالب العلم لزياراته يحفظ عليه أوقاته، بخلاف من كان طبعُه الفوضى في ذلك فإنَّ أوقاته تُهدَر وتمضي دون مراعاة لقيمة الوقت، وإذا كانت إضاعة الوقت مذمومةً في حقِّ عامة الناس من عامة وجهلة وغيرهم، فكيف يكون الشأن في طالب العلم؟! لا شكَّ أن ذلك مذمومٌ في حقِّه؛ لأن أولى الناس بحفظ أوقاتهم هم طلبة العلم.

- **ومن أمثلة الفوضوية في الزِّيارات**: أنَّ بعضهم يوغل في زياراته ويُكثِر منها حتى يكون الأصل في أوقاته التنقل من مكان إلى مكان في جميع أيام الأسبوع إلَّا ما ندر، والعجب أنَّ بعضهم قد يجمعهم مكان دراستهم أو وظيفتهم، فقد يكونون في مدرسة واحدة أو كلِّية واحدة أو مكان وظيفي واحد، ومع هذا يلتقون في غالب أو جميع أيامهم، وكثرة هذه الاجتماعات بهذه الشاكلة تُفقِد طالبَ العلم كثيرًا من أوقاته، بل قد يألف ذلك الأمر ويَثقُل عليه تركُه، ويزيد هذا الأمر سوءًا إذا كانت تلك المجالسة لا حظَّ للعلم فيها، أو أن يؤدِّي بهم التوسُّع في المباحات إلى الوقوع في شيء من المحذورات.

وزد على ذلك: أنَّ من يكثرون من تلك المجالس المستمرَّة دائمًا يقعون في إهمال لكثير من مسؤوليات أولادهم وبيوتهم، فلا حظَّ لأولاده من الجلوس معهم إلَّا قليلًا، ناهيك عمَّا يحتاجه البيت من أمور.

ويلاحَظ على بعض من يُكثِرون من الاجتماع بينهم خارج بيوتهم أو عند أحدهم أنهم يتثاقلون ويَضْجَرون من الجلوس في بيوتهم، وبخاصة

إذا علم أنَّ أصحابه مجتمعون ، وهذا التثاقل والتضجُّر قد يُدرِكه أهل بيته -بل سيدركونه- فيكون وجوده بينهم غيرَ مرغوب فيه بسبب تغيُّر مزاجه وسوء خلُقه، فيكون لسان حال أهل بيته إذا رأوه خارجًا «مستريح ومستراح منه»!.

روى يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: «السيِّئ الخلق أشقى الناس به نفسُه التي بين جنبيه؛ هي منه في بلاء، ثم زوجتُه، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيتَه وإنهم لفي سرور فيسمعون صوتَه فيفرُّون عنه فَرَقًا منه، وحتى إنَّ دابَّتَه تحيدُ مما يرميها بالحجارة، وإنَّ كلبَه ليراه فينزو على الجدار، حتى إنَّ قطَّهُ ليفرُّ منه»[1].

وهنا شيءٌ لا بدَّ من التنبه له والتنبيه عليه لمن كان له أولاد، وهو أنَّ كثرة غيابه عن المنزل قد تجرِّئ أولادَه على بعض المحاذير الشرعية، فضلًا عما يصيب الزوجة من العناء بسبب كثرة غياب الزوج.

- **وقد يكون من الفوضوية في الزيارات**: أنَّ بعضهم يذهب المسافة البعيدة لزيارة أحد أصحابه دون تأكد من وجوده وعدم انشغاله، فترى بعضهم قد يستغرق في وصوله إلى مكان صاحبه ثلث أو نصف ساعة مثلًا، وقد لا يجد صاحبه، وقد يكون صاحبه موجودًا لكنه مرتبط بمشاغل لنفسه أو أهل بيته وبسبب مجيء ذلك الزائر إليه من مكان بعيد دون موعد سابق قد يُضطَرُّ صاحب الدار إلى مجاملته والجلوس معه لضيافته، بل قد يكون أهل صاحب الدار متأهِّبين للذهاب مع أبيهم أو أخيهم المَزُور، فيتسبب الزائر في إرباك أمورهم.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٩٩).

وقد يقول قائل: ولِمَ لا يعتذر المَزُور من الزائر انطلاقًا من الآية الكريمة ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [النور: ٢٨]؟

وجواب ذلك: أنَّ بعض الناس قد يُحرَج من الزائر ولا يقوى على قول ذلك.

وبكلِّ حال؛ فترتيب أمر زياراتك -بعد توفيق اللَّه تعالى- يدفع كلَّ ما تقدم ذِكرُه من إضاعة أوقاتك وإحراج أصحابك، ومن الترتيب في ذلك: الوعد المسبق بينكما بمقابلتك له أو اتصالك عليه، ويتأكد هذا في الأصحاب الذين لم تتوثق الصِّلة بينهم أو تُعرَف منهم مجاملتك على حساب مشاغلهم ومشاغل أهليهم.

شاهد المقال: أنَّ ترتيب الوعد المسبق يحفظ لك وقتَك ويرفع الحرج عن صاحبك.

* * *

الفوضوية في صلة الأرحام

● **فمن ذلك :**

- أن بعضهم قاطعٌ لكثير من رَحِمه مع قُرب مساكنهم نسبيًّا مع شدَّة وصوله لكثير من أصحابه مع تباعُد مساكنهم ، والعجب أنَّ بعض أولئك إذا كُلِّم في قطعه لرحمه تعذَّر وتذرَّع بكثرة المشاغل ، لكن تعذره وتذرعه يزول عند زيارة أصحابه !

- **وقد يكون من الفوضوية أيضًا** : أنَّ بعضهم يُكثِر من زيارة واحد أو آحاد من رحمه ، مما يترتب عليه تأثر مَن لم يكن لهم حظ من صلته ، وقد يكون أولئك الذين قطعَ وَصْلهم آكدَ حقًّا ممَّن وَصَلهم ، ولو أنَّ هذا وأمثالَه رتَّبوا صِلَتَهم لأرحامهم لزالت تلك المحاذير .

ومن الترتيب في ذلك :

- أن يجعل في كلِّ أسبوع زيارة أو زيارتين أو أكثر حسب ما يراه من اقتضاء المصلحة .

- أن يُقدِّم الأحقَّ قرابةً وسنًّا .

- تنوع الوسائل في صلة الرحم بفضل ما يسَّر من وسائل التقنية ؛ فهناك الرسائل المقروءة والمسموعة مباشرة أو آجِلًا . . . وغير ذلك ، وهذه بحمد اللَّه تعالى تُقرِّب البعيد وتجمع المتفرِّق .

* * *

الفوضوية في المواعيد

- بعضهم ليس لمواعيده زِمامٌ ولا خطام! فلا يُقيم للمواعيد ولا لأصحابها وزنًا، يَعِدُ فلانًا بأنه سيحضر إليه في وقت كذا، ثم يَعِدُ آخَر بأن يأتي إليه في وقت كذا، ثمَّ إذا طرأ له شغلٌ - من سفر أو غيره- اشتغل به ولم يهتمَّ عن سَبْق الوعد معهم.

- بعضهم يتعمَّد في جعل أوقات مواعيده تتضارب مع مصالح أهمَّ، كبِرِّ الوالدين بقضاء حوائج لهما في ذلك الوقت قد يضيق وقت الوالدين أو أحدهما بتأخير قضاء تلك الحاجة عن وقتها.

- بعضهم يجعل مواعيده تتضارب مع أوقات حضوره لدرس مهمٍّ أو محاضرة مهمَّة.

- بعضهم يَعِد الآخَرين بعشوائية، ثمَّ يفاجأ بموعدين أو ثلاثة في وقت واحد فيُحرِج نفسَه وغيرَه، بل قد يتسبَّب في إدخال الضجر والغيظ أحيانًا بسبب إرباك الموعودين بتأجيل أو إخلاف مواعيدهم دون سابق إخبارٍ لهم أو حُسن اعتذار بتأخير مواعيدهم إن أمكن.

ولا شكَّ ولا ريب أنَّ سبب إحراجه لنفسه والآخَرين هو الفوضوية وعدم الترتيب في ذلك كله.

وإليك -رعاك اللَّه- شيئًا من أثر الترتيب في مواعيد طالب العلم، وشيئًا من الوسائل المعينة عليه، وقبل ذلك يقال:

إنَّ الوفاء بالعهد من أخلاق الأنبياء عليهم السلام، وقد ذكر اللَّه ذلك في كتابه في مدح أنبيائه عليهم السلام:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٤].

وأنعِم بصفةٍ أثنى عليها اللَّه تعالى وتخلَّق بها أنبياؤه عليهم السلام.

والعجب أنَّ أهل الجاهلية كانوا يُعظِّمون شأن الوعد، ومن شواهد ذلك قول عوف بن النعمان في الجاهلية الجهلاء: «لأن يموت الرجل عطشًا خيرٌ له من أن يكون مخلافًا لموعد»[1].

وبكلِّ حال؛ فطالب العلم من أولى الناس بلزوم تلك الخصلة، وذلك لأمور كثيرة.. منها: طاعة اللَّه تعالى، والتخلق بأخلاق الأنبياء عليهم السلام وأنعم وأكرم بهم وبأخلاقهم عليهم السلام، والحذر من الوقوع في ضدِّها من إخلاف المواعيد فذلك من صفات المنافقين كما ثبت عنه ﷺ.

ومنها -وهو الشاهد في هذا الموضع-: أنَّ ترتيب طالب العلم لأوقاته وتنظيم شؤونه وأموره يُعينُه على تقسيم مواعيده، وفي الوقت نفسه يُسهِّل عليه الوفاء بتلك المواعيد كل في مكانه وزمانه.

- **وممَّا يعين على ترتيب المواعيد بعد فضل اللَّه تعالى:**

- كتابة تلك المواعيد في ورقة أو سجلٍّ خاصٍّ، ويحسن -إذا كان الموعد مهمًّا أو بعيد الأجل- أن يعلق تلك الورقة في مكان بارز في مكتبته أو غيرها ليكون ذلك الموعد ماثلًا أمامَه.

- الاستعانة بوسائل التقنية الحديثة، كجهاز الجوال الذي يتضمَّن برامج للتذكير بالمواعيد.

- أن يطلب من صاحب الموعد -إذا كان وعده بعيد الأجل- أن يُشعِره بالموعد المتفق عليه قبل وقته بمدَّة كافية حتى لا يرتبط بأمور أخرى تُصَعِّبُ عليه الوفاء بالوعد المسبق.

---

(١) «أدب الإملاء والاستملاء» (ص٤١)، «تجريد أسماء الصحابة» للذهبي (ص٤٢٩).

المكتبة بين الفوضوية والترتيب

● **من آثار الفوضوية في شأن المكتبة وعدم العناية بترتيبها ما يلي :**

- ذهاب وقت كثير في البحث عن كتاب معيَّن في مكتبته ، ثمَّ إذا عثر عليه وقضى منه مرادَه واحتاج إليه بعد مدَّة فقد يُعاوِد البحث عنه مرَّة أخرى بوقت كسابقه . . . وهلمَّ جرّا .

- قد يشتري بعضَ الكتب مرَّتين أو ثلاثًا .

- قد يتأخّر عن بحث موضوع قراءةً أو كتابةً لظنه عدم وجود الكتاب المقصود عنده ، بينما الكتاب في متناوَل يده لو عُني بالترتيب ، وقد يكون تحصَّل عليه منذ زمن طويل في مكتبته لكن كلُّ ذلك بسبب الفوضوية في عدم عنايته بمكتبته .

وإذا كان ذلك كذلك ؛ فاحرص -سدَّد اللَّه أقوالك وأرشد أفعالك- على ترتيب مكتبتك لتزول تلك الجهود المهدرة في غير محلها ؛ من بذل جهدٍ يمكن توفيره ، وذهاب وقتٍ يمكن حفظه ، وإنفاق مالٍ يمكن ادخاره .

● **ومن طرق ترتيب المكتبة :**

- تقسيمها على حسب الفنون العلمية تقسيمًا إجماليًّا ثم تفصيليًّا ، فمثلًا : علم التفسير بعدما يخصِّص له ركنًا معينًا يبدأ بوضع كتب التفسير ، ثمَّ ما يتعلق بعلم القراءات ، ثمَّ بأسباب النزول ، وكلما أكثر التقسيم التفصيلي كلما سهُل عليه الوصول إلى مراده مع توفير جهد ومال .

ومثل ذلك أيضًا : كتب الفقه يرتبها على حسب مذاهب أصحابها ، ثمّ

يرتب الكتب والرسائل الفقهية المنثورة على حسب مضامينها ، فيجعل ما يتعلق بالصلاة سويًّا ، ثم الزكاة ، ثم الصيام ، ثم الحج ، ثم المعاملات . . .

• **ومن طرق الترتيب أيضًا :**

- إفراد مصنفات المكثرين من التصنيف ، فيجعل ركنًا خاصًّا لمصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية ، وركنًا لابن القيِّم ، وركنًّا للسيوطي . . . وهكذا .

وما ذكر هنا مجرَّد إشارة إلى أهمية ترتيب المكتبة وما يحصل من عدم الترتيب من الفوضى في وقت طالب العلم ، ومن أراد الزيادة عن العناية بشؤون المكتبة فتفصيل ذلك موجود في مظانه من الكتب التي تُعنَى بتنظيم المكتبات وترتيبها ، لكن مرادي هنا ما يتعلق ببعض مكتبات طلاب العلم التي يغلب عليها عدم الترتيب .

* * *

الفوضوية في إيقاف السيارات بما يسبب أذى بعض المسلمين

مراعاة شعور المسلمين وعدم أذيتهم من التعبُّد للَّه تعالى، فكيف بمن كفَّ الأذى عن المسلمين؟ وفي المقابل كيف بمن خالف هذا وتسبَّب في أذى المسلمين؟!

ومن الصُّوَر المشينة في أذية المسلمين: ما يحصل من إيقاف بعض السيارات أمام أبوابهم، ويتأكد الضرر إذا كان ذلك أمام أبواب مداخل سياراتهم، وهذا من الفوضوية وعدم مراعاة مشاعر المسلمين، وليضع ذلك المؤذي نفسه مكان المؤذَى ليستشعر الضرر.

ومما يزيد تلك الصورة قبحًا: إذا كان أصحاب بعض تلك السيارات من الموسومين بالخير والصلاح، وغالبًا ما يكون هذا عند حضور محاضرة أو درس.

فعلى من كان هذا شأنه أن يتقي اللَّه تعالى في عدم أذية المسلمين ليسلم من الإثم وأيضًا دعاء المتضرِّرين بسببه، وقد بلغ ببعض أولئك المتضرِّرين أنه سبَّ ودعا على من آذاه بإيقاف سيارته أمام بابه، ولقد أطلعني أحدُهم على ورقة من أحد جيران مسجدهم فيها سبٌّ للملقي والملقى عليهم بسبب إيقاف سيارات بعضهم أمام بيته.

فعلى صاحب السيارة أن يحرص جاهدًا على إبعادها عن بيوت الناس، كإيقافها عند سور المسجد، أو مدرسة، أو حديقة، أو غير ذلك، فإن شقَّ ذلك عليه فعليه أن يجتنب الوقوف أمام أبواب البيوت.

ومن الفوضوية فيما يتعلق بوقوف السيارات أيضًا : ما يحصل من بعضهم من إيقاف سيارته بطريقة عشوائية فيأخذ مكانًا يكفي لسيارتين ، وأحيانًا لثلاث!

وخلاصة القول : أنَّ على المسلم -وبخاصة القدوة عند الناس- أن يحرص جاهدًا على تجنُّب ما يُسبِّب أذى للناس .

ومما يحسُن ذِكرُه هنا : أن يجتمع الاثنان والثلاثة في سيارة واحدة عند المجيء للمسجد، وفي ذلك مصالح كثيرة، منها :

- تقليل عدد السيارات .
- ضعف احتمال أذية الجيران .
- تذاكر العلم فيما بينهم .

* * *

الفوضوية في الترويح عن النفس

الترويح عن النفس أمرٌ مشروع، ودين الإسلام دين السَّماحة واليُسر، ودين الكمال والجدِّ، والمتأمِّل في دواوين السنة النبوية عمومًا -وفي كتب الشمائل النبوية خصوصًا- سيرى نصوصًا كثيرة فيها تنوُّع في أساليب الترويح عن النفس، فمن ذلك على سبيل المثال:

- مسابقته ﷺ لعائشة رضي الله عنها.
- ومسابقتُه ﷺ بين الخيل المضمَّرة وغير المضمَّرة.
- ومشاهدته ﷺ للحبشة وهم يلعبون بحرابهم.

والشاهد في هذا المبحث: ما يحصل من بعض الناس من الإيغال في أمور الترويح حتى يكون الترويح هو الغالب، بل قد يكون الأصل في حياته... فيأنس بذلك الترويح ويحثُّ غيره عليه، فإذا نُبِّه على إفراطه في ذلك الأمر تذرَّع بنصوص الترويح في السُّنة، ومنها ما سبق، ولا شكَّ أنَّ هذا من الجهالة أو التجاهل، وبيان ذلك:

أنَّ الأصل في حياة النبي ﷺ الجدُّ والعزيمة، والترويح عارض، وهو مع ذلك يتقوَّى به على وظيفته العظيمة في دلالة الناس على الخير. وأيضًا مع ترويح النبيِّ ﷺ عن نفسه فقد كان معطيًا كل ذي حقٍّ حقه، ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: «**خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**». فلم يشغله ترويحه عن نفسه عن القيام بأعماله الخاصة والعامة للأمة، بل كان يتقوَّى بذلك الترويح كما تقدَّم آنفًا الإشارة إليه، بخلاف من غلَّب جانب الترويح وأضاع وأهمل الحقوق الخاصة بأهل بيته أو العامة للناس... فحدِّث

عن غيابه عن بيته وتضييع حقوق مسؤوليته عن أولاده وزوجته، وكذا في شؤون الناس من إهمال للدوام الوظيفي أو تضييع أمانة المسجد إن كان مؤذنًا أو إمامًا.

* * *

الفوضوية في طلب العلم

وأمورها كثيرة، ويحسن تقسيم الكلام في ذلك فأكتفي بذِكر أمرين مع التمثيل لكلِّ أمر بعدة أمثلة، ويقاس عليها نظائرها :

- **الأمر الأول : الفوضوية في حضور الدرس :**

ومن صور ذلك :

- أن بعضهم إذا لم يفهم شيئًا في أوَّل حضوره للدرس أصابه إحباط فترك الدرس ولم يعُد إليه .

- كثرة التنقل من درس إلى آخَر بلا ضابط معيَّن، بل عشوائية في الحضور أو تعجُّل في التحصيل .

- يحاكي بعض أصحابه في حضوره وغيابه، فمتى ما حضر فلانٌ حضر معه، وإن تغيَّب فمعه أيضًا .

- يجعل الدرس عرضًا، بينما يجعل غيره من الأشغال التي تقبل التأخير أصلًا، بل يصل الحال ببعضهم إلى تقديم الترويح دائمًا على حضور الدرس .

- كثرة الغياب والتساهل في الحضور، مما يترتب عليه فوات كثير من الفوائد فضلًا عن عدم الفهم المترابط لمواضيع الدرس .

- إشغال نفسه بما لا ينفع أثناء الدرس؛ من فضول نظر، أو كثرة حركة، أو عبث بالقلم أو الجوَّال، أو غير ذلك، وقد يشغل غيره بفضول كلام أو كثرة حركة تؤثر على من خلفه أو مَن بجانبه .

- كثرة التأخُّر عن حضور الدرس، وهذه الصفة قد تحرم بل ستحرم

صاحبها كثيرًا من الخير، بل وقد يكون التأخُّر طبعًا له في مسيرة حياته، فيؤثر عليه في طاعاته الواجبة فضلًا عن المستحبة.

- عدم الاستعداد لحضور الدرس بدنيًّا وذهنيًّا؛ فأمَّا ذهنيًّا فتراه لا يُحَضِّر للدرس قبل حضوره إليه، ولا يُراجِع ويتعاهد ما سمعه بعد انصرافه منه، وأمَّا عدم الاستعداد البدني فتراه يأتي إلى الدرس إن أتى -وهو مُجْهَد مُنْهَك- بسبب كثرة أشغاله وإجهاد لنفسه في أمور يمكنه جعل كثير منها أو أكثرها في أوقات لا تزاحم راحته البدنية عند حضوره للدرس، ومن الأسباب أيضًا قلة النوم وكثرة السهر، ويتأكد هذا في الدروس الصباحية؛ فتراه إذا ما حضر إلى الدرس مستغرقًا في نومه أو تراه يخفق برأسه ويغالب نفسه.

ودواء كل تلك الأدواء -بعد توفيق اللَّه تعالى- هو مراعاة الترتيب والتنظيم في أوقاته وأموره.

- **الأمر الثاني: الفوضوية في القراءة، ومن صُوَرها:**

- عدم الاعتناء والمشورة في اختيار الكتاب المقروء؛ فمثلًا قد يكون محبًّا لنوع من العلوم -كالتفسير مثلًا- فيختار كتابًا من كتُب التفسير فيبدأ بقراءته، وقد يكون ذلك المفسِّر ممَّن يُسهِب في إيراد الشواهد النحوية والبلاغية ويُكثِر الكلام حولها، وهي -مع عظيم فائدتها في التفسير بخاصة وغيره بعامة- لا يُدرِك فائدتَها كلُّ أحَد، وقد يكون ذلك المحبُّ للتفسير في أول مراحل الطلب فيثقل عليه ذلك الأمر فيترك القراءة أو ينقطع عنها مدة، ولو أنه رتَّب أمرَه واستشار أهلَ الدِّراية بذلك العلم خاصة وغيره عامة لأرشدوه- بتوفيق اللَّه تعالى- إلى ما يناسب مداركه.

ومثل ذلك: أنه قد يبدأ بقراءة تفسير يُكثِر مؤلفُه من سرد الرِّوايات الضعيفة والموضوعة، وذلك المبتدئ لا يميِّز ذلك، وهنا محذورٌ

عظيم . . وهو أنه قد يَنقُل تلك الرِّوايات بغثِّها وسمينها ، ويَسردها فيما يحضر من المجالس أو في محرابه إن كان إمامًا أو على منبره إن كان خطيبًا ، وهنا يَعظُم الخطب في نشره للكذب وتوسيع دائرته ، ولا يشفع له صلاحُ نيَّته ، فالعجلة هنا مذمومةٌ ، فلو أنه رتَّب قراءتَه وسأل أهلَ العلم عمَّا يناسب رغبته من الكتُب لنفع نفسه وغيرَه بنشر العلم وحصول الأجر .

- **ومن صُوَر الفوضوية في القراءة** : عدم ترتيب وقت أو أوقات مُعيَّنة للقراءة ، وبخاصة تلك القراءة التي تحتاج إلى تأمُّل ونظرٍ وتأنٍّ ، كقراءة المتون أو شروحها ، بل حتى القراءة الترويحية كالقراءة في بعض كتب الأدب أو التاريخ أو الثقافة العامة إذا لم يجعل لها حظًّا من ترتيب وقتها فقد لا يستشعر فائدتها أو قد ينسى كثيرًا مما قرأ ويَعجز عن استحضاره إذا أراد الاستشهاد به .

- **ومن صُوَر الفوضوية في القراءة** : كثرة التنقُّل بين الكتُب ؛ فتراه إذا بدأ في كتاب ثمَّ وقع في يده آخر ترك الأوَّل إلى الثاني ! فإذا أشكلت عليه كلمة في الثاني ورجع إلى مظنَّة بيانها في كتاب ثالث ترك الكتاب الثاني إلى الثالث ، وهكذا كلَّما رام صيدًا وتبعه فرأى آخر تركه ، وهكذا يرجع خالي الوفاض مُنهَك القوى .

ومن جميل ما يُذكر هنا : ما قاله الإمام ابن جماعة -رحمه اللَّه تعالى- ، **ونصُّ كلامه** : «وكذلك يحذر المتعلِّم في ابتداء طلبه من المطالعات في تفاريق المصنَّفات فإنه يضيع زمانه ويفرق ذهنه ، بل يعطي الكتاب الذي يقرؤه أو الفنَّ الذي يأخذه كلِّيته حتى يُتقِنَه ، وكذلك يحذر من التنقل من كتاب إلى كتاب من غير موجب فإنه علامة الضجر وعدم الإفلاح»[1] .

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» (ص١١٧- ١١٩) .

الترتيب في حياة طالب العلم

طالب العلم أولى الناس بترتيب أوقاته وأعماله، ذلك أنَّ طالب العلم من أعلم الناس بقيمة الوقت، وأيضًا لكونه محطَّ أنظار الناس وقدوتَهم، وأيضًا لتنوُّع مسؤولياته وكثرة حاجة الناس إليه.

لهذه الأسباب وغيرها.. كان لزامًا على طالب العلم أن يُعنَى عناية تامَّة بالترتيب في جميع أموره العامة والخاصة، ولذا من تأمَّل في سِيَر العلماء ورأى عظيم آثارهم - مع قصر أعمارهم- عَلِم أنَّ السبب -بعد توفيق اللَّه تعالى- هو حرصُهم على لحظات أعمارهم والعناية باستثمارها في وجوه الخير، ولا يكون ذلك إلَّا بترتيبهم ومعرفتهم بالمهمِّ والأهمِّ، ومتى يقدَّم هذا أو يؤخَّر ذاك.

* * *

أسباب معينة لحصول الترتيب والبركة في الوقت

من أعظم الأسباب في حصول الترتيب والبركة في الوقت إنجاز الكثير في الوقت القليل :

- **أولًا** : الدعاء بصدق وإلحاح .

- **ثانيًا** : صدق النية في الأمور كلها .

- **ثالثًا** : العزيمة وعدم اليأس والقنوط ، فلو لم تنتظم أمورُك وترى ثمارها فلا تجعل للإحباط مدخلًا عليك ، بل عاود العزيمة مرَّةً ومرَّات ، وسترى -بحول اللَّه تعالى- انتظامًا في أمورك وبركةً في شؤونك .

- **رابعًا** : المشورة وطلب المناصحة ممَّن عُرف بترتيب أموره ، وبخاصة ممَّن تُشابِه أحوالُه أحوالك .

- **خامسًا** : حضور دورات تُعنَى بشأن الترتيب وحفظ الأوقات وتنمية القدرات .

- **سادسًا** : قراءةُ بعض الكتُب التي تُعنَى بشأن الترتيب والتنظيم في الأعمال ؛ لأنَّ هذا وما قبله في الغالب أنَّ القائمين والكاتبين ممَّن لهم خبرة ودراية بذلك .

- **سابعًا** : توظيفُ التقنية في شؤونك وبخاصة العلمية ؛ لأنّ التقنية -بفضل اللَّه تعالى- تختزل الزمن ؛ فتُقرِّب البعيد وتجمع المتفرِّق وتؤلف بين النظائر . . . إلى غير ذلك من الخدمات التقنية الهائلة .

- **ثامنًا** : ترتيب برنامج مسبق سواء كان ذهنيًّا أو كتابيًّا ، وضمِّن ذلك

البرنامج أمورًا مهمَّة تعلم من نفسك أنك ستحرص على الإتيان بها ؛ لأنها قاسمٌ مشترك بين الناس ، وكثيرٌ من الناس لا يُعيرُها اهتمامًا إلَّا إذا طال إهماله لها تلك الساعة يتنبَّه لها أو يُنبَّه عليها .

ومن تلك الأمور : صلة الرحم ، وزيارة مريض ، وترويح عن النفس ، فلو جعلت لك في كلِّ أسبوع مرَّة واحدة لصلة رحم ، وأخرى لزيارة مريض ، وأخرى لترويح عن النفس . . . ولو حدَّدت لكلِّ واحدة يومًا معيَّنًا ، فمثلًا بعد مغرب السبت لعيادة مريض ، ومغرب يوم الأحد لصلة رحم ، ومغرب يوم الثلاثاء للترويح عن النفس بما تشاء من أمور الترويح المباحة . . . وأمَّا الدروس العلمية فلزامًا على طالب العلم الحريص أن يُرتِّب لنفسه حضورَ درس أو درسين أو ثلاثة ، ويحرص جاهدًا على العناية بأوقات دروس العلم وعدم مزاحمتها بأشغال أخرى ؛ لأنَّ الانقطاع أو التأخُّر عن حضور الدروس التي رتَّبها لنفسه يُفقِد طالب العلم كثيرًا من الفوائد .

- **تاسعًا** : الرفق والتأنِّي في ترتيب الأمور واتِّخاذ القرار ؛ لأنَّ الرِّفق من أبواب الخير ، ولذا جاءت النصوص بالعناية بهذا الشأن .

قال ﷺ : «**إنَّ الرِّفق لا يكون في شيءٍ إلَّا زانه ، ولا يُنزَع من شيءٍ إلَّا شانه**» .

وقال ﷺ : «**مَن يُحرَم الرِّفق يحرم الخير في الأمر كلِّه**» .

وقال ﷺ : «**إنّ اللَّهَ رفيقٌ يحبّ الرِّفق**» .

وفي المقابل جاءت نصوصٌ تؤكِّد بل تمنع المضيَّ في العبادة أو الحكم بين الناس إذا كان الذهن والبال مشغولًا ، فمثال عدم المضيّ بل

البدء في العبادة: قوله ﷺ: «**لا صلاةَ بحضرة طعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان**» .

ومثال عدم الحكم بين الناس: قوله ﷺ: «**لا يقضي القاضي وهو غضبان**» .

والشاهد من هذا كلّه: أنَّ اشتغال الفكر وعدم استقراره يُوقع في المحاذير القاصرة والمتعدِّية .

* * *

من طرق ترتيب الأوقات عند كثرة المشاغل

إذا اجتمعت عليك مشاغل وتداخلت، فإليك هذه الخطوات لعلها -بعد توفيق اللَّه تعالى- تكون عونًا لك على ترتيب قضاء تلك الأمور أو قضاء أكثرها:

أولًا: اسأل اللَّه تعالى دائمًا أن يُعينَك في جميع أمورك، وتذكَّر أنك تقول في كل ركعة: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وفي دُبر كلِّ صلاة مكتوبة: «اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكرك وشُكرك وحُسْنِ عبادتك»، وهذا المقام من تحقيق معنى الاستعانة باللَّه تعالى.

ثانيًا: اكتُب جميعَ تلك المشاغل في ورقة، وهذا أسهل من تذكُّرها ذهنيًّا؛ لأنّك قد تعجز عن استحضارها كلها على عجلة من أمرك، وأيضًا لو حصل ذلك فقد يَصعُب تصوُّرُها جميعًا ثمَّ المقارنة والمفارقة بينها، بخلاف كتابتِها في ورقة والنظر فيها بتأنٍّ، فذلك يأخذ منك وقتًا أكثر من التصوُّر الذهني، لكنه يوفِّر لك وقتًا كثيرًا، بخلاف التصوُّر الذهني على عجل فذلك يأخذ منك وقتًا قليلًا لكنه يضيع عليك وقتًا كثيرًا.

ثالثًا: استعرض تلك الأمور بتأنٍّ ورَوِيَّة، تلك الساعة ربما يتبيَّن لك أشياء قد لا تُدرِكُها إذا أخذت الأمور بفوضوية.

رابعًا: بعد استعراضك لتلك الأمور مجتمعة احرص على تقديم ما يضرُّ تأخيرُه، كقضاء حاجة للوالدين، أو زيارة مريض به مرض مخوف وهو يفرح بزيارتك ويحزن أو يجد في نفسه لعدم زيارتك.

خامسًا: إذا كان في بعض الأمور نفعٌ متعدٍّ، وفي بعضها نفع قاصر،

فقدِّم ما كان نفعُه متعدِّيًا على ما كان نفعُه قاصرًا . فمثلًا : إذا دُعيتَ إلى مجلس لإصلاح ذات بَيْن أو لطرح مشروع خير يحتاج إلى إبداء رأي ومشورة، وكان لحضورك أثرُه في المجلسين فلا تتأخَّر عن حضور مثل تلك المجالس على ما كان نفعُه قاصرًا من المجالس الأخرى .

سادسًا : إذا كان بالإمكان جمعُ بعض المشاغل متوالية مرتبةً فافعل، فلو قُدِّر ودعاك اثنان من إخوانك لحضور زواجهما أو زواج أحد أولادهما، فحاول إدخال السرور عليهما جميعًا وذلك بالترتيب معهما من حيث حضور المبكِّر منهما لتبدأه بالحضور، ثمَّ تذهب إلى الآخر بعد إشعار الأوَّل بظرفك ليشكُرَك على حضورك ويَعذرك لانصرافك .

سابعًا : -وهو متعلق بما قبله- : مهما قدرت على قضاء حوائج كثيرة في وقت متواصل فبادر، ففي ذلك توفُّرُ أوقات مستقبلية . وبيان ذلك :

زيارة مريض، وصلة رحم، وشراء بعض لوازم الدار، وإيصال حاجة إلى أحد معارفك . . . فهذه أربعة أمور إذا رتّبت قضاءها متواليًا ستفرغ منها جميعًا في بعض يوم، لكن لو جَعَلتَ كلّ أمر في يوم فلا شكّ أنَّ الوقت الذي سيذهب عليك أضعاف الوقت السابق، ويكفي أنك في الحال الأوَّل لن تخرج من منزلك وتعود إليه إلَّا مرَّةً واحدة بخلاف الحال الثاني فستخرج أربع مرات، وإن زادت المشاغل زاد خروجُك من الدار .

ثامنًا : إذا تزاحمت عليك أشغالٌ وضاق عليك الوقت فاستعن -بعد اللَّه تعالى- ببعض إخوانك، وبخاصة من تعرف أنه يَفرَح بذلك، شريطةَ ألَّا يكون ذلك على حساب تضييع حقوق أهله وبيته، ويتأكَّد هذا إذا كان شغلك الذي تريد منه قضاءَه يتطلب وقتًا طويلًا وبمساعدة أخيك يقلُّ الجهد والوقت .

وممَّا يحسُن في هذا المقام أيضًا : أن تستعين -بعد عون اللَّه تعالى- بمن تعرف من معارفك أو أصحابك الذين قد تقصر نفقتهم عن حوائجهم وكافِئهم على قضاء ما كلفتهم به بمال أو هدية . . . من باب قوله ﷺ : «**من صنع إليكم معروفًا فكافئوه**» .

وفي ذلك مصلحتان : قضاء حوائجك، ونفع إخوانك .

تاسعًا : احرص على استخدام التقنية ؛ من جوَّال، وحاسب «كمبيوتر» . . وغير ذلك في ترتيب أمورك، ففيها بإذن اللَّه تعالى تقريبٌ للبعيد، وجمعٌ للمتفرِّق ، واختزال للوقت، وتنظيمٌ للعمل، ومنافع أخرى كثيرة .

عاشرًا : اجعل لك حظًّا من حضور بعض الدورات التدريبية التي تُعنى بتنظيم الأوقات، وكذلك قراءة بعض الكتب في هذا المجال .

هذه بعض المقترحات والمرئيات . . ولعل بعضها أو أغلبها عن مشورة وتجربة، فانظر ماذا ترى؟ ولعلَّ عندك وعند غيرك أكثر وأفضل مما ذُكِر ، ولكن :

ومَن لم يجرِّب ليس يعرف قدره فجرِّب تجد تصديق ما قد ذكرناهُ

* * *

وصايا مرتبة

أولًا : احرص جاهدًا على أن تستفيد من كلِّ أحد ولو كان عامِّيًّا فلن تعدم خيرًا من دعوة أو تنبيه على أمر قد خفي عليك، أو نصيحة مؤثرة. . بحكم معتركه في الحياة وما سمع ورأى في حياته، وعوامُّ المسلمين يقلل شأنهم بعضُ الناس، وهذا من الجهالة؛ فهؤلاء العوام قد مرَّت عليهم أحوال وتغيُّرات مجتمعات فأكسبهم ذلك خبرةً واسعة ونظرةً شاملةً، فحريٌّ بنا أن نستفيد منهم فضلًا عن توقيرهم.

ثانيًا : احرص على أن تُفيد كلَّ أحد ولو كان ولدًا صغيرًا، فالصغير في الغالب يتأثر بمواقف العاطفة والرَّحمة والشفقة، وقد يَبقَى ذلك التأثر راسخًا في نفسه، ويبقى هذا التأثر أيضًا في حال إهانته وضربه، فإن كان الضرب لمصلحة نَفَعَهُ ذلك التأديب، وإن كان الضرب والإهانة ظلمًا وعدوانًا فقد تبقى آثارُها راسخةً تؤثر على الصغير، وتبقى معه ما شاء اللَّه أن تبقى، ولذا لا تحقرنَّ كلمةً تشجِّع بها صغيرًا، أو مداعبةً لطيفة تُدخِل بها عليه سرورًا، ناهيك عن هدية -بغضِّ النظر عن نوعها وقيمتها- قد تجعلك محبوبًا راسخَ الخيال في ذهن الصغير حتى يشبَّ ويشيب. وهذا الأمر الأخير (الهدية) يحسن أن يكون مع صغار قرابتك ومعارفك، وبخاصة من لكَ علاقةٌ وثيقةٌ بأخيه أو أبيه.

وإليك هذه الأمثلة الثلاثة من تعامل النبي ﷺ مع الصِّغار :

الأول: تعليم. والثاني: مداعبة. والثالث: إهداء.

أما الأول: فقوله ﷺ للغلام الذي كانت يدُه تَطيشُ في الصحفة:

«**يا غلام! سمِّ اللَّه، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك**» .

وأما الثاني: فقول محمود بن الربيع: «عَقَلتُ مجَّةً مجَّها رسول اللَّه ﷺ في وجهي من دلو كانت في دارنا» .

وأما الثالث: فقد كان ﷺ إذا أتى بباكورة ثمَر المدينة قسمه على من عنده من الصِّبيان .

ثالثًا: احرص على توثيق العلاقة مع بعض أهل التخصُّصات العلمية المتنوِّعة؛ فتوثيق العلاقة مع مثل أولئك فيه منافع كثيرة، من التوسُّع المعرفي المتنوِّع .

رابعًا: لا تؤجِّل عمل اليوم إلى غد، وإيَّاك والتسويف، فقد قيل وما أجمل هذا القيل: «التسويف مطية إبليس»، وأقول لك: «إنَّ تأجيل الأعمال عن مواقيتها تولِّد تراكمها، وتراكمها يورث تداخلها، والتأجيل والتراكم والتداخل يحجب بركة الوقت تارةً حجبَ حرمان، وتارةً حجبَ نقصان!»[1] .

خامسًا: تقدَّم قبل المواعيد بزمن يسير، ويتأكَّد هذا إذا كان المكانُ بعيدًا تحسُّبًا لما قد يحدُث من زحمة طريق وما شاكله، وأفضل التبكير المسارعة إلى التقدُّم لفعل الخيرات، كالتبكير إلى صلاة جمعة أو جماعة، أو المبادرة إلى أمرِ خير آخَر سواء كان قوليًّا أو عمليًّا، فالمسارعة إلى عمل الخيرات من نهج الأنبياء والمرسلين عليهم السلام . . ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

سادسًا: إذا أنعم اللَّه تعالى عليك بموهبة - من حسن تلاوة أو قريحة

(١) من كلماتي في كتابي الموسوم بـ «كتبت» .

شعرية أو خطابة أو قلم سيَّال أو غير ذلك من المواهب - فاحرص على المحافظة عليها وعلى تنميتها .

سابعًا : قيِّد ما يمرُّ عليك من الفوائد النفيسة ، وإيَّاك أن تزهد فيها أو تؤخِّر تقييدها أو تستكثر تلك الفوائد ، فتأخير تقييدها قد يُنسِيها واستكثارك للفوائد يُضعِف همَّتك ويقلِّل عزيمتك ، فالعلم كثير والعُمر قليل .

ثامنًا : كن على وقتك أبخلَ من البخيل بمالِه ، وكن في نشر وتعليم العلم أكرم من الكريم بماله .

تاسعًا : يَزهَدُ بعضُ طلبة العلم في أجزاء يسيرة من أوقاتهم ، لكن تلك الأجزاء إذا جُمِعت أصبحت كُلًّا كبيرًا . .

لا تحقرنَّ صغيرة إنّ الجبال من الحصى

ومن أمثلة تلك الأوقات :

- بين الأذان والإقامة .
- أثناء ركوب السيارة .
- الانتظار اليسير سواء كان لانتظار قادم أو غير ذلك .
- في ذهابه وإيابه من وإلى المسجد ، أو غيره ممَّا يذهب إليه ماشيًا .

هذه الأوقات - مع كثرة تكرُّرها - تمثِّل قسمًا غيرَ قليل من العُمر ، ومع ذلك لا يُلقَى لها بالٌ ، فاحرص -رعاك اللَّه- على أن تستثمرها . . بمراجعة محفوظ ، أو بسماع مقروء في شريط سمعي إذا كنت راكبًا ، فإنْ عُدِم هذا وهذا فلا تحرم نفسك من شَغْل تلك الأوقات بذكر اللَّه تعالى .

وأسوق لك أمثلة لترى كيف كان أهل العلم يحرصون على عدم التفريط في جزئيات الوقت فضلًا عن كلِّياته:

- ذكر الذهبيُّ عندما ترجم لعبد الوهاب بن عبد الوهاب بن الأمين: أنَّ أوقاته كانت محفوظةً، فلا تمضي له ساعة إلَّا في قراءة أو ذِكر أو تهجُّد أو تسميع.

- ومحمد بن عبد الباقي يقول: «ما أعلم أنِّي ضيَّعت ساعةً من عُمري في لهو أو لعب».

ومن الآثار العجيبة التي تُبيِّن مَدى حرصهم على استغلال أوقاتهم: ما ذكره الذهبي في كتابه «السِّير» عن داود بن أبي هند رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه كان يقول: «كنتُ أنا وغلامٌ أختلف إلى السُّوق، فإذا انقلبت إلى البيت جعلتُ على نفسي أن أذكر اللَّه إلى مكان كذا وكذا، فإذا بلغتُ إلى ذلك المكان جعلتُ على نفسي أن أذكر اللَّه كذا وكذا... حتى آتي المنزل»[1].

* * *

ختامًا؛ طالب العلم... جعلكَ اللَّه تعالى مبارَكًا أينما كنت، هذه شذرات في شأن الترتيب وهي تحتاج إلى إكمال وتهذيب وترتيب، وعسى اللَّه أن ييسِّر لذلك مَن يقوم به، إنَّ ربِّي قريبٌ مجيب، والحمد للَّه الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

* * *

(١) انظر كتابي: «معالم في طريق طلب العلم» (ص٣٦).

فهرس الموضوعات

يا طالب العلم ٥

أمور مشتركة لابد لطالب العلم منها في جميع طرق تحصيله للعلم .. ٩
الأمر الأول: الدعاء ٩
الأمر الثاني: الإخلاص في المقصد ٩
الأمر الثالث: اجتناب المعاصي ١٠
الأمر الرابع: قراءة سير العلماء ١٠
الأمر الخامس: قراءة بعض كتب أدب الطلب ١١
الأمر السادس: مجالسة المتميِّز في حفظه وفي فهمه وفي قراءته ١١
الأمر السابع: مجاهدة النفس وعدم اليأس ١٢
الأمر الثامن: تذكر وانظر في معارفك وفي أقرانك ١٣
الأمر التاسع: ترتيب الأوقات ١٣
الأمر العاشر: تكرار ما حصَّلت من العلم سواء كان محفوظًا أو مفهومًا أو مقروءًا ١٤
الأمر الحادي عشر: نشر العلم ١٥
الأمر الثاني عشر: كثرة شكر اللَّه تعالى وكثرة حمده كلَّما ازددت علمًا ١٥
الأمر الثالث عشر: الحذر من التطلُّع إلى التصدُّر والترؤُّس ١٦
الأمر الرابع عشر: ردُّ الفضل إلى أهله ١٦
الأمر الخامس عشر: الاستفادة من مشايخ العلم وعدم التفريط في دروسهم ١٧
الأمر الأخير: كثرة تلاوة القرآن الكريم ١٧
• كيف تحفظ؟ ١٩

١- اختيار الوقت المناسب ١٩
٢- اختيار المكان المناسب ٢٠
٣- اختيار القَدْر المناسب من المتن المراد حفظه أو الشرح المراد قراءته ٢٠
٤- اختيار الهيئة المناسبة ٢١
٥- تجزئة المحفوظ ٢٢
٦- وحِّد النسخة التي تحفظ منها ٢٢
٧- شكِّل المتن الذي تحفظه تشكيلًا لغويًّا ٢٣
٨- ضع ضابطًا أو مصطلحًا حرفيًّا لما قد يُشكل أو يصعُب حفظه؟ .. ٢٤
٩- تعويد النفس على الحفظ وعدم الانقطاع عنه ٢٥
١٠- تعاهد الحفظ وتكراره مع نفسك أو مع غيرك ٢٥
١١- العمل بالمحفوظ ٢٦
١٢- ذكر بعض أهل العلم بعض المآكل والمشارب المعينة على الحفظ ٢٧
١٣- ما يتعلق بقراءة نماذج من سير الحفَّاظ ٢٧
• كيف تقرأ؟ ٢٩
١- اختيار الوقت ٢٩
٢- اختيار المكان ٣٠
٣- الاستشارة في قراءة الكتاب ٣٠
٤- اختيار أجود الطبعات ٣١
٥- عليك بالبدء بالكتب القصيرة ٣٢
٦- العناية بما كُتب حول الكتاب الذي تريد قراءته ٣٢
٧- اختيار أخصر الشروح ٣٣

٨- تقسيم القراءة ٣٣
٩- توثيق تاريخ البدء والختم ٣٤
١٠- احذر من التعجُّل في القراءة بقصد الختم ٣٤
١١- إيَّاك والتشعب في أثناء القراءة ٣٤
١٢- تقييد الفوائد النفيسة ٣٥
١٣- إذا قرأت الكتاب لخص الفوائد المدونة ٣٥
١٤- إذا قرأت كتابًا في فن معين فاجعل ذلك الكتاب أصلًا ٣٦
١٥- طريقة المقارنة والمفارقة ٣٦
١٦- قراءة كتب العبادات الموسمية في موسمها ٣٧
١٧- قراءة كتب الفتاوى ٣٧
١٨- إذا حصلت على كتاب جديد اشتُري لك أو أهدي إليك فحاول
قبل أن تضعه في المكتبة أن تتصفح الفهرس والمقدمة ٣٨
١٩- إياك والتنقل من كتاب إلى آخر ٣٨
٢٠- استعن بإخوانك إذا علمت من نفسك أنها تضعف عن القراءة .. ٣٩
٢١- قراءة العرض ٣٩
٢٢- الترويح عن النفس بقراءة بعض كتب الأدب ٣٩
٢٣- بعض الناس عنده طاقة ولكنها مسخرة في غير موضعها ٤٠
• كيف تفهم؟ ٤١
١- كثرة الاستغفار ٤١
٢- طلب العون من اللَّه تعالى (الاستعانة باللَّه) ٤١
٣- الترفق في الفهم وعدم العجلة ٤١
٤- التدرُّج في القراءة ٤٣
٥- كما قسَّمت المقروء قسِّم ما تريد فهمه ٤٣
٦- استجماع الذهن ٤٤

٧- لا تحاول دائمًا الاتكال على الآخرين بل عوِّد نفسك على الفهم ٤٤
٨- تلخيص رؤوس المسائل التي فهمتها ٤٥
• وصايا جامعة ٤٦
بين الترتيب والفوضوية ٤٧
المقدمة ٤٩
• الترتيب من سنن اللَّه تعالى الكونية ٥٢
• الترتيب في حياة الأمم ٥٤
• الإسلام دين الترتيب والكمال ٥٥
• النبي ﷺ أحسن الناس ترتيبًا لجميع شؤونه ٥٦
• طالب العلم بين الترتيب والفوضوية ٥٨
• من أسباب الفوضوية ٥٩
أمثلة للفوضوية عند بعض طلبة العلم ٦١
الفوضوية في أداء الفرائض ٦١
ومن الأسباب التي تُعينه على تجنُّب تلك الفوضوية في التخلُّف والتأخُّر عن الصلاة ٦٢
أن يحرص أن يكون على وضوء دائمًا، وفي ذلك مصالح كثيرة ٦٢
أن يجعل الأذان فيصلًا بينه وبين مشاغله وجلسائه، ويكون هذا هو الأصل في شأنه. ٦٣
الفوضوية في النوم ٦٤
الفوضوية في قضاء الحوائج ٦٥
الفوضوية في الزيارات ٦٦
الفوضوية في صلة الأرحام ٦٩
الفوضوية في المواعيد ٧٠

المكتبة بين الفوضوية والترتيب ٧٢
ومن طرق ترتيب المكتبة ٧٢
ومن طرق الترتيب أيضًا ٧٣
الفوضوية في إيقاف السيارات بما يسبب أذى بعض المسلمين ٧٤
الفوضوية في الترويح عن النفس ٧٦
الفوضوية في طلب العلم ٧٨
الأمر الأول: الفوضوية في حضور الدرس ٧٨
الأمر الثاني: الفوضوية في القراءة، ومن صُوَرها ٧٩
• الترتيب في حياة طالب العلم ٨١
• أسباب معينة لحصول الترتيب والبركة في الوقت ٨٢
• من طرق ترتيب الأوقات عند كثرة المشاغل ٨٥
وصايا مرتبة ٨٨
فهرس الموضوعات ٩٣

* * *

تم بحمد اللَّه